دار الثقافة الجديدة

السوفييت والصهيونية

من كتابات المستشرقين السوفييت

ترجمة : سعد رحمى
محمد الجندى

الناشر
دار الثقافة الجديدة
٣٢ ش صبرى ابو علم
القاهرة
ت : ٧٤٢٨٨٠

غلاف : محمد عزام

دار الثقافة الجديدة

السوفييت والصهيونية

من كتابات المستشرقين السوفييت

ترجمة : سعد رحمي
محمد الجندي

الصهيونيـــة

« عن دائرة المعــارف السوفيتية »

(طبعــة عام ١٩٧٦)

(نسبة الى جبل « صهيون » فى القدس)

أكثر أشكال القومية اليهودية رجعيـــة • وقد انتشرت انتشارا واسعا فى القرن العشرين بين السكان اليهود فى البلاد الرأسمالية وتعتبر الصهيونية المعــاصرة أيديولوجية قومية ، ونظام متشعب من التنظيمات والســياسة ، تعبر عن مصالح البورجوازية اليهــودية الكبيرة المرتبطــة ارتبــاطا وثيقــا بالبورجوازية الاحتكارية للدول الامبرياليــة • والمضــمون الأساسى للصهيونية المعــاصرة هو الشوفينية العدوانيـــة ، والعنصرية ، ومعاداة الشيوعية ، ومعاداة الاتحاد السوفيتى •

وقد ظهرت الصهيونية كتيار سـياسى فى نهــاية القرن التاسع عشر• وكان يهدف الى الهاء الجماهير الكادحة اليهودية عن النضال الثورى ، والحفاظ على سيطرة البورجوازية عليهم•

ولتحقيق هذه الأهـداف والأيديولوجية وضـعت الصهيونية خططا لحل « المسألة اليهودية » عن طريق خلق « دولة يهودية » بمساعدة من الدول الكبرى . وقد شرحت هذه الفكرة ، على وجه الخصوص ، فى كتاب اسمه « الدولة اليهودية » صـدر عام ١٨٩٦ لأحد مفكرى الصهيونية وهو الصحفى النمساوى تيودور هرتزل . وعقد عام ١٨٩٧ فى بازل المؤتمر الصهيونى الذى أسست فيه المنظمة الصهيونية العالمية التى أعلنت رسميا أن هدف الصهيونية هو « أن تخلق للشعب اليهودى حقا مصونا فى اللجوء الى فلسطين » .

والعقيدة الأيديولوجية للصهيونية هى توليفية تماما . وهى تستخدم كثيرا من العقـائد الجامدة فى الديانة اليهودية وكذلك تتضمن نظريات قومية بورجوازية وشوفينية اجتماعية وغيرها وضعها منظرو الصهيونية . وتنحصر أفكارها الرئيسية فيما يلى : يمثل يهود مختلف بلدان العالم « أمة يهودية عالمية واحدة » يتعدى نطاقهـا الحدود الاقليمية ، ويعتبر اليهود شعبا « خاصا » « متميزا » « اختاره الله » ، وجميع الشعوب التى يعيش بينها اليهود هم بشكل أو بآخر معادين للسامية ؛ ومعاداة السامية هى ظاهرة « أبدية » ، وأن الاستيعاب أى اندماج اليهود فى الشعوب المحيطة بهم هو « أمر غير طبيعى وخطيئة » ، ولليهود الحق التاريخى فى « أرض أسـلافهم حسب التوراة » (أى فلسطين والمنطقة المرتبطة بها) التى يجب أن يتمركزوا ويبنوا عليهـا دولة « يهـودية نقيـة »

« مساواتية »(١) ويحاول منظرو الصهيونية أن يثبتوا « الصلة الوثيقة بين يهود جميع العالم » والصهيونية التى يجب عليهم أينما وجدوا أن يخضعوا لها مصالحهم • ان العقائد الأساسية غير السياسية التى تقول « بالاختيار الالهى » وقدسية اليهود وخلاص اليهود ، وكذلك الفكرة الخيالية القائلة « بتميزهم » تعتبر من أسس القومية المتطرفة والشوفينية والعنصرية الملازمة للصهيونية • ويزعم منظرو الصهيونية أن « المسألة اليهودية » مشكلة « أبدية » و « خاصة » وفوق الطبقات • ويروج الصهاينة بكل الطرق للفكرة الزائفة عن السلام الطبقى بين الكادحين اليهود والبورجوازية اليهودية (« كل اليهود اخوة ») • ويعلن منظرو الصهيونية أن كل أشكال الصراع الطبقى بين اليهود تعتبر خيانة وطنية • وقد حاولت الصهاينة دائما ويعملون الآن أيضا عن طريق الديماجوجية والمناورات التكتيكية على اخفاء الجوهر الرجعى غير الشعبى للصهيونية بتقديمها « كحركة تحرر وطنى للشعب اليهودى فى العالم » •

وبعد أن تكونت دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ بقرار من هيئة الأمم المتحدة (على جزء من أرض فلسطين) أصبحت الصهيونية هى الأيديولوجية الرسمية لاسرائيل • ويعلن الصهاينة أن أهدافهم الرئيسية هى مساندة يهود العالم كله لهذه الدولة ، وتجميع اليهود من جميع أنحاء العالم فى اسرائيل ، وتشكيل وعى السكان اليهود فى مختلف البلاد بالروح

(١) وهو مذهب خيالى ينادى بمساواة جميع البشر مساواة حسابية eqalitarism

الصهيونية • وتضع الصهيونية هدفا لها توسيع هذه الدولة الى حدود ما يسمى « باسرائيل الكبرى » •

ويستخدم الصهاينة لحل هذه المشكلة نظرية « العداء الأبدى للسامية » وكثيرا ما يلجأون هم أنفسهم الى اشعال هذا العداء للسامية •

والصهيونية هى أساس السياسة الرسمية للدولة هى اسرائيل • ويعلن الصهاينة أن دولة اسرائيل هى وطن جميع اليهود أينما وجدوا ومهما كان موقفهم • وعلى خلاف قواعد القانون الدولى اتخذ المؤتمر الثامن والعشرون للمنظمة الصهيونية العالمية (الذى انعقد عام ١٩٧٢ فى القدس) قرارا ينص بأن تلتزم المنظمات القومية (يعنى الصهيونية والموالية للصهيونية) التزاما جماعيا بمساعدة الدولة اليهودية فى أى أوضاع أو ظروف ، حتى ولو تعارض ذلك مع سلطات البلاد التى يعيش فيها اليهود وينتمون الى جنسيتها • وكان الخط الرئيسى للصهيونية ومايزال هو العمل المعلن والسرى ضد الاشتراكية والحركة الشيوعية العالمية وحركات التحرر الوطنى والاتحاد السوفيتى وغيره من البلدان الاشتراكية • وفور انتصار ثورة أكتوبر غام ١٩١٧ فى روسيا شنت الصهيونية الحرب الضارية ضد الدولة السوفيتية الفتية • وبعد الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ، ومع ازدياد عمق الأزمة العامة للرأسمالية اتخذ عداء الصيهونية العالمية للشيوعية والسوفييت نطاقا أوسع • وقد أدى التغير العام لتوازن القوى فى العالم لصالح الاشتراكية ، ونجاح حل المسألة القومية (بما فى ذلك المسألة اليهودية) فى الاتحاد السوفيتى ، وتأييد الاتحاد

السوفيتى المستمر لحركة التحرر الوطنى للشعوب العربية — أدى هذا كله الى تشديد الدعاية والنشاط الصهيونى ضد السوفييت وضد الشيوعية فالصهيونية الدولية ترمى الى تقويض الوحدة السياسية والمعنوية لشعوب البلدان الاشتراكية ، والهاء المواطنين اليهود عن المشاركة فى بناء الاشتراكية والشيوعية ، وقيادة العمل التخريبى ضد انفراج التوتر الدولى ، وخصوصا بعد أن بدأ تطبيع العلاقات السوفيتية الأمريكية • وتشترك الصهيونية الدولية بضراوة فى الحرب ضد حركات التحرر الوطنى فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية • وهى تفعل ذلك باعتبارها أحد الفصائل الصدامية للامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد • وفى الشرق الأوسط تمارس الدوائر الحاكمة الصهيونية فى اسرائيل سياسة العدوان والتوسع الاقليمى المستمر على حساب الشعوب العربية ، والشعب العربى فى فلسطين على وجه الخصوص • وقد حولت هذه السياسة اسرائيل الى دولة امبريالية فى الشرق الأوسط واسرائيل فى الأعوام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ و ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ • وأصبحت الصهيونية أحد الحلفاء الأساسيين للامبريالية فى حربها الشاملة ضد حركة التحرر الوطنى فى العالم •

وتقوم المنظمات الصهيونية والموالية للصهيونية المتشعبة ذات النظام المركزى الصارم ، والتى تقع مراكزها القيادية فى الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل بنشر مفاهيمها الأيديولوجية وتنفيذ مخططاتها السياسية • وتعتبر الوكالة

اليهودية بالنسبة لاسرائيل المركز القيادى والمنسق للصهيونية الدولية (المنظمة الصهيونية العالمية) • وتنشغل هذه الوكالة أساسا بمسائل هجرة اليهود الى اسرائيل وتمثل المنظمة الصهيونيه العالميه فى العلاقات مع الحكومة الاسرائيلية • ويعتبر المؤتمر الصهيونى العالمى أعلى هيئة من الناحية القانونيه فى المنظمة الصهيونية العالمية • ويلعب الدور الرئيسى فى هذه المنظمة مجموعة من الشخصيات لها صلات وثيقة مع الدوائر الامبريالية فى الولايات المتحدة الأمريكية وتتكون اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية من قسمين : أحدهما فى نيويورك والآخر فى القدس • وتوجه المنظمة الصهيونية العالمية وتشرف على نشاط المنظمات الصهيونية فى أكثر من ٦٠ بلد رأسمالى • أكبرها : المنظمة النسائية الصهيونية العالمية ، الاتحاد العالمى العام للصهاينة ، الحركة العمالية الصهيونية العالمية ، المنظمة الصهيونية الأمريكية • وعمليا يخضع المؤتمر اليهودى العالمى غير الصهيونى والذى أسس عام ١٩٣٦ للمنظمة الصهيونية العالمية • وتعمل منظماته فى ٦٧ بلد رأسمالى • ويرتبط بهذه المراكز بشكل مباشر أو غير مباشر عدد من المنظمات والجمعيات واللجان وغيرها ، الصهيونية والموالية للصهيونية ، والتى تكون نظاما موحدا للصهيونية العالمية وتمتلك المنظمة الصهيونية العالمية مالية ضخمة يقدمها اليها أساسا الاحتكاريون اليهود ، وبعضها يجمع عن طريق ابتزاز الأموال وأحيانا بشكل قسرى من السكان اليهود • ويقع جزء كبير من أجهزة الاعلام تحت اشراف أو نفوذ المنظمات الصهيونية ، ويقع تحت أيديها عدد

كبير من دور النشر والاذاعة وشركات التليفزيون وشركات السينما (فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية وفى عدد من بلدان أمريكا اللاتينية وأفريقيا وأستراليا) • وقد ضمت الصهيونية الدولية دائما ومازالت تيازات أيديولوجية مختلفة وكتل وتجمعات سياسية : « الصهاينة الاشتراكيين » ، « الصهاينة السياسيين » ، « الصهاينة الروحيين » ، « الصهاينة المتدينين » ، « الصهاينة العموميين » ، « الصهاينة المراجعين » (وهى حاليا حزب حيروت الفاشى والمجموعات المرتبطة به) ، وغيرها • وهذا يعكس فقط المصالح الخاصة للفئات المختلفة من البرجوازية اليهودية ، ولا يغير على الاطلاق جوهرها الموالى للامبريالية وانما يعتبر فقط غطاء له •

والخلافات بين مختلف الاتجاهات الصهيونية لا يخرج فى الجوهر عن حدود المسائل التكتيكية ويعتبر أحيانا انعكاسا للصراع فى القمة الصهيونية من أجل المناصب ذات النفوذ •

وقد رفض الماركسيون دائما ومازالوا يرفضون نظرية الصهيونية وممارساتها • وقد كشف لينين المضمون الرجعى للصهيونية مؤكدا أن عقائدها رجعية وزائفة فى جوهرها ، وأنها تتعارض مع مصالح البروليتاريا اليهودية • وانتقد نظريات الصهاينة حول الطابع الخاص للشعب اليهودى ، ومزاعمهم حول انعدام الاختلافات الطبقية بين اليهود وحول اتفاق مصالحهم الوهمى ، وأوضح أن مثل هذه المزاعم تهدف الى صرف أنظار الكادحين اليهود وابعادهم عن الصراع الطبقى العام للبروليتاريا • وتكشف الحركة الشيوعية العالمية الطابع الرجعى غير الشعبى للصهيونية ولنشاط الصهاينة فى

جميع البلاد • وتدعو الوثيقة التى أقرها الاجتماع الدولى للأحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٦٩ « •• الى نشر أوسع حـركة احتجاج •• ضـد التمييز العنصرى والقومى الذى تمارسه الصهيونية والعداء للسامية ، والذى تشعله القوى الرجعية الرأسمالية وتستخدمه لحرف أنظـار الجماهير من الناحية السياسية » ويواصل الحزب الشـيوعى الاسرائيلى نضالا ثابتا ضد الصهيونية • وهو يبين بوضوح أن أعتى قوى الرجعية والامبريالية تستخدم الصهيونية ، وأن أيديولوجية وممارسة الصهيونية تتناقض مع مصالح الكادحين اليهود فى جميع أنحاء العالم ، وتتعارض مع المصالح القومية للشـعب الاسرائيلى ، وأن النضال ضـد الصهيونيـة هو الضرورة الحيوية لشعب اسرائيل ولجميع القوى التقدمية • ويكشف الحزب الشيوعى الاسرائيلى الموقف « غير الطبقى » للصهاينة من « المسألة اليهودية » ويدلل على أنه لا يمكن حل هـذه المسلة الا فى ظل انتصار الديمقراطية والاشتراكيـة ، وهو ما تشهد به خبرة الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكيـة الأخرى • ويدافع الحزب الشيوعى الاسرائيلى عن الاخوة والصداقة بين الكادحين فى مختلف البلدان ضد النشاط الهدام للقادة الصهاينة وحكام اسرائيل •

ومع ازدياد عمق الأزمة العامة للرأسماليـة فى المرحلة الحالية يزداد وضوح أزمة الأيديولوجية الصهيونية وتهافت كل مفاهيمها ، وترفض الغالبية الساحقة من اليهود العقائد الصهيونية الجامدة • ان يهود الاتحـاد السوفيتى (مـع

استثناءات ضئيلة) مثلهم فى ذلك مثل جميع شعوب الاتحاد السوفيتي والقوى التقدمية فى العالم يدينون بحزم السياسة العدوانية للقمة الصهيونية الحاكمة فى اسرائيل .

وقد اعتبرت الدورة الثلاثين لهيئة الأمم المتحدة (فى نوفمبر ١٩٧٥) الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية والتمييز العرقى .

وينمو فى العالم كله عملية طبيعية موضوعية هى استيعاب (اندماج assimilation)اليهود . وينمو بين يهود البلدان الغربية ، بل وبين سكان اسرائيل الادراك بأن السياسة الصهيونية للدوائر الحاكمة فى اسرائيل يمكن أن توصل سكانها الى كارثة قومية حقيقية .

المراجـع

١ ـ لينين . المختارات . الطبعة الخامسة . المجلد السابع ص ١٢١ . المجلد الثامن ص ٧٢ .

٢ ـ الحزب الشيوعى السوفيتى حول الأممية البرليتارية مجموعة وثائق ومواد ـ المجلد ٢٦١ . موسكو ١٩٧٤ .

٣ ـ الاجتماع الدولى للأحزاب الشيوعيـة والعماليـة . وثائق ومواد . موسكو ١٩٦٩ .

٤ ـ المؤتمر السـابع عشر للحزب الشـيوعى الإسرائيلى (مواد) . موسكو ١٩٧٣ .

٥ ـ يورى ايفانوف : الصهيونية حذار ! موسكو ١٩٧٢ .

٦ ـ الصهيونية فى النظرية والتطبيق . موسكو ١٩٧٣ .

٧ ـ براجينسـكى . الجوهـر الطبقى للصهيونيـة . « كومونيست » ١٩٧٠ رقم ٩ .

٨ ـ ارليك. ف. افلاس الفكرة الرجعية « مشكلات السلم والاشتراكية » ١٩٧٣ رقم ٣ .

٩ ـ داريانى ل. ضد أيديولوجية وسياسـة الصهيونيـة « كوميونيست » ١٩٧٥ رقم ١٨ .

١٠ ـ ماير فيلز النضال ضـد الصهيونيـة نضـال طبقى « مشكلات السلم والاشتراكية » ١٩٧٩ رقم ١ .

دولة اسرائيل والصهيونية

بقلم

جالينا نيكيتينا

الصهيونية هي أيديولوجية الطبقة الحاكمة فى اسرائيل ، ومن ثم فهى تجسد سياسة الدولة وتحدد تطورها السياسى والاقتصادى .

ومن أجل تتبع جذور الترابط بين اسرائيل والصهيونية ، علينا أولا أن نتذكر باختصار كيف خرجت هذه الدولة الى الوجود . فوفقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، تم تقسيم فلسطين السابقة الى دولتين احداهما عربية والأخرى يهودية . وحصلت الأراضى التى كانت تحت الانتداب البريطانى على الاستقلال ، كما حصل العرب واليهود من سكان البلاد على حق تقرير المصير على قدم المساواة . وصدر القرار الخاص بتقسيم فلسطين رغم الدعاوى الصهيونية التى كانت تزعم حقها فى الاستيلاء على كل فلسطين . وهكذا ، تؤكد التوصية رقم ١٢ الواردة

ضمن التوصيات العامة التى ينص عليها التقرير الصادر عن اللجنة الخاصة لبحث المشكلة الفلسطينية ، والتى تشكل — جنبا الى جنب مع الخطة التى أقرتها أغلبية اللجنة — الأساس الذى انبنى عليه قرار الأمم المتحدة المذكور ، « أن أى حل للمشكلة الفلسطينية لا يمكن أن يعتبر حلا للمشكلة اليهودية بشكل عام »(١) • ويحدد قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين طبيعة الدولة اليهودية المقبلة ، وينص على ضرورة أن تكون دولة ديموقراطية ، لها دستورها الديموقراطى ، وأن تتوفر فيها الضمانات للسكان العرب لممارسة حقوقهم المتكافئة بدون أى تمييز أو تفرقة(٢) •

وهكذا ، فاذا بدأنا من معنى قرار الأمم المتحدة الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، لوجدناه ينص على قيام الدولة اليهودية القادمة على أسس لا علاقة لها على الاطلاق بأهداف الصهيونية العالمية • ولم يكن ينظر الى مستقبل الدولة اليهودية الا على ضوء ضمان حق الاستقلال القومى لليهود الذين يشكلون جزءا من سكان فلسطين • وهكذا كان موقف الاتحاد السوفيتى والعديد من الدول أعضاء الأمم المتحدة عند التصويت على قرار ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، وما أعقب ذلك من اعتراف بدولة اسرائيل •

---

(١) الأمم المتحدة ، اللجنة الخاصة للقضية الفلسطينية • تقرير مقدم للجمعية العامة • ملحق رقم ١١ ، المجلد رقم ١ ، نيويورك ، ١٩٤٧ ، ص ٤٦ •

(٢) أنظر الأمم المتحدة ، التقارير الرسمية لدورة الانعقاد الثانية للجمعية العامة ، قرارات • من ١٦ سبتمبر الى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ • القرار الصادر عن لجنة أدهوك لبحث المسألة الفلسطينية (١٨١) ، نيويورك ، ١٩٤٧

ولكن البورجوازية الكبيرة اليهودية ، عميلة الصهيونية العالمية ورأس المـال الاجتكارى ، هى إلتى تربعت على قمة السلطة فى دولة اسرائيل التى أعلنت فى شهر مايو ١٩٤٨ • وهكذا نفذت فى أراضى فلسطين السابقة مؤامرة امبرياليـة صهيونية سبق اعدادها مقدما ومنذ وقت طويل • ولم يكن فى الامكان تنفيـذ هـذه المؤامرة لولا مساندة وتواطؤ الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة ، واستخدمت الرجعية العالميـة أثناء فترة النزاع والجدل حول قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وتطبيق هـذا القرار ، كل الوسائل من أجل عرقلة تكوين الدولة العربية الفلسطينية •

وأعلنت البورجوازية الاسرائيليـة الصهيونيـة ، التى استحوزت على السلطة بمقتضى أول مرسـوم للدولة ، وهو مرسوم اعلان الاسـتقلال ، أن « المذهب الصـهيونى » هو الأيديولوجية الرسمية الدولة ، وأنه هو السياسة التى تنتوى السير عليها • وأكد اعلان الاستقلال أن دولة اسرائيل نشأت فى المقام الأول « استنادا الى الحق الطبيعى والتاريخى للشعب اليهودى » وأنها « سوف تفتح أبوابها لهجرة اليهود من جميع البلدان التى تشردوا فيها » • وأخيرا وجهت الدعوة الى جميع اليهود من كافة البلدان « للوقوف الى جانبها فى النضال الكبير من أجل تحقيق حلم الأجيال ـ استرداد اسرائيل »[1] •

---

(١) « اعلان الاستقلال » ، الكتاب السنوى الفلسطينى والكتاب السنوى الاسرائيـلى ــ ٥٧٠٩ ــ ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ ، نيويورك ، ١٩٤٩ . المجلـد ٤ ، ص ٦٨ ــ ٧٠

وهكذا وافقت الجماعة الحاكمة الاسرائيلية على برنامج الصهيونية العالميـــة بكل أهدافه الأيديولوجية والسياســية ، وبكل ما ينص عليه من مهام •

وأعلن زعماء الصهيونية العالمية بدورهم ، وبما يتناقض مع نص وروح قرارات الأمم المتحـــدة ، أن اسرائيل هى من « نبت الحركة الصهيونية » وأنها « دولة ذات سيادة من نوع خاص » ، تجسد الوحدة « القومية » لليهود ، ولها « رسالة عالمية » خاصة • وتعبر هذه الدعاوى الزائفة والمطالب التى تتعارض مع القانون الدولى عن برنامج لا يمكن أن تنادى به الا هيئة عميلة لرأس المـــال الاحتكارى وللرجعية الامبريالية العالمية •

الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيـــلى

لـــا كانت الســلطة السياســية فى اسرائيل فى أيدى البورجوازية الصهيونية ، فمن الطبيعى اذن أن نصف النظام السياسى بأنه نظام صهيونى • ولسنا فى حاجة الى القول بأن هذه الصفة لا تنطبق على المجتمع الاسرائيلى كله ، لأن هذا المجتمع ينقسم الى طبقـــات متناقضـــة ، الى من يمارسون الاستغلال ومن يعيشون تحت نير الاستقلال •

وتتجسد الطبيعة الاستغلالية للدولة الصهيونية المقبلة بكل صراحة وقحة فى كل ما كان ينادى به تيودور هرتزل ، أحد مؤسسى الصهيونية ، والذى يقول فى كتابه « الدولة اليهودية »:

« وسوف يبدأ أغنياء اليهود ، يبنون هناك (أى فى اسرائيل — ج٠ن) قلاعهم التى ينظر اليها شذرا فى أوربا »[1] • ويفضح هذا الكتاب مفهوم الدولة الصهيونية التى لا تقوم الا على أساس الحكم الطبقى للطغمة المالية اليهودية التى تطالب بالسلطة السياسية والسيطرة على الجماهير اليهودية ، ويقول هرتزل فى غطرسة وسخرية لا حدود لهما : « وأنا من أشد أنصار النظم الملكية ••• لأن السياسة ينبغى أن تدار من أعلى »[2] ، ثم ينتهى الى قوله : « ان شعبنا الذى ستوفر له الجمعية (أى المنظمة الصهيونية — ج٠ن) المأوى الجديد ، سيوافق أيضا ، وهو ممتن ، على الدستور الذى تمنحه اياه الجمعية • وسوف تتمكن الجمعية من سحق أى مقاومة لمخططاتها • ولن يكون فى مقدورها أن تقف مكتوفة الأيدى فى مواجهة محدودى الأفق أو من يتصرفون عن سوء نية »[3] • وبعبارة أخرى ، فلن يكون هناك فى الدولة الصهيونية التى يصورها هرتزل أى تعبير حر عن ارادة الشعب ، وفى حالة المقاومة ، فسوف تسحق بكل الوسائل •

ولسنا فى حاجة الى القول بأن دعاة الصهيونية لا يستطيعون الافصاح عن أفكارهم فى القرن العشرين على نفس النحو الذى كان يفصح به هرتزل عن أفكاره ، وهم

---

(١) ت٠ هرتزل • الدولة اليهودية ، تجربة فى الحل الحديث للمسألة اليهودية • سان بطرسبرج ، ١٨٩٦ ، ص ١ (بالروسية) •

(٢) المرجع السابق • ص ٩٠ — ٩١

(٣) المرجع السابق • ص ٩٢

يستخدمون أساليب الديوجاجوجية الاجتماعية والتزييف من أجل التستر على الطبيعة الرجعية المعادية للشعب للنظام القائم فى اسرائيل • فهذه الدولة بأساليبها الاستبدادية ونظامها البوليسى ، وبما يسيطر عليها من نزعات عسكرية ودينية ، وشوفينية وتفرقة عنصرية ، صورها الأيديولوجيون الصهاينة وكأنها شيء استثنائى لم يسبق له مثيل ، كنوع من مجتمع « الرفاهية القومية » ، الذى لا مكان فيه للصراع الطبقى • وأخيرا ، فقد تحولت اسرائيل ، فى رأى المنظرين البورجوازيين الصهاينة ، بتجسيدها لأفكار الصهيونية ، الى نوع من « المعجزة الحديثة » فيما يتعلق بالتطور السياسى والاقتصادى •

ولكن الواقع ، وكما تشير العناصر التقدمية فى اسرائيل نفسها ، أن اسرائيل ، بنظامها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، لا تعدو أن تكون بلدا رأسماليا من النوع الذى يعرفه العالم كله[1] • ولا يصعب على أى مراقب أن يرى فى اسرائيل نفس النسيج من العلاقات المميزة لنظم القهر واستغلال الانسان للانسان •

ومن السمات الثابتة لتطور اسرائيل تكوين صفوة حاكمة متمثلة فى البورجوازية الكبيرة الصهيونية ، تزداد ثراء يوما بعد يوم ، وتمارس المزيد والمزيد من السلطة السياسية المطلقة •

---

(١) انظر المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعى الاسرائيلى (٣١ مايو — ٣ يونيو ١٩٦١ ، تل أبيب — يافا) ، تل أبيب ، ١٩٦١ ، ص ٥٣

ومن السمات المميزة للواقع الاسرائيلى ، والتى من المحتم أن تفرزها الأوضاع السائدة فى أى بلد رأسمالى ، هذا العدوان المستمر على مستوى معيشة الجماهير العاملة وحقوقها الاجتماعية ، وتجميد الأجور وزيادة الضرائب ، وانتشار حركة الاضرابات التى تمتد الى مستوى لم يسبق له مثيل من قبل ، والهجرة المستمرة من « أرض الميعاد » •

ويضطر المؤرخون وعلماء الاجتماع البورجوازيون ، بما فيهم بعض المشايعين للأفكار الصهيونية ، الى الاعتراف الى أن هناك تمايز اجتماعى واقتصادى مستمرين فى اسرائيل[1] •

وسيادة الملكية الخاصة هى الأساس الذى يقوم عليه النظام الاجتماعى الاقتصادى فى دولة اسرائيل ، الأمر الذى يكشف زيف كافة المزاعم الصهيونية التى تدعى وجود وتطور « الديموقراطية الشعبية » و « الاشتراكية » بل وحتى « الاشتراكية الصهيونية » فى اسرائيل • والواقع أن المؤسسات التابعة للهستدرن ــ وهو التنظيم النقابى الموحد فى اسرائيل ــ والمشروعات الزراعية المسماة بالكيبوتزان ، والتى تدعى الصهيونية أنها تجسيد لهذه الأشكال ، تستخدم فى ظل الأوضاع الرأسمالية السائدة فى اسرائيل من أجل تحقيق الحد الأقصى من استغلال الجماهير العاملة التى تعمل فيها (وخاصة فى الكيبوتزان التى تستخدم فى نفس الوقت لتحقيق الأغراض العسكرية التوسعية) •

---

(1) انظر على سبيل المثال ، س. ن. ايشنشدات ، المجتمع الاسرائيلى ، لندن ، ١٩٦٧ ، ص ١٨٠ •

الصهيونية وسياسة اسرائيل الداخلية

يستخدم التلاحم والاندماج بين الصهيونية وجهاز الدولة فى اسرائيل من جانب البورجوازية الكبيرة من أجل احكام السيطرة على السلطة فى البلاد • وهكذا تحولت الصهيونية العدوانية المتعطشة الى الحرب الى سياسة عميلة للدوائر الحاكمة وأصبحت هى التى تحدد تطور اسرائيل •

فهى السمات المحيزة للقطور السياسى الداخلى فى اسرائيل ؟ أولا وقبل كل شىء هناك عملية تكوين الصفوة البورجوازية الصهيونية والتى تجرى تحت ستار الاحاديث المسولة عن الرخاء القومى وبالاضافة الى ذلك ، يتضمن الاسلوب الصهيونى للحكم اخفاء طبيعة النظام الرجعى بكافة الطرق وخاصة بتدويده بواجهة من الديموقراطية البورجوازية البرلمانية الشكلية • وينبغى ألا يغرب عن بالنا أن الصهيونية تحاول طمس الصراع الطبقى والاستعاضة عنه بالصراع بين الأمم وتأليب الشعوب ضد بعضها البعض ، وانكار وجود التناقضات الطبقية الحقيقية للمجتمع الرأسمالى • ويتجسد هذا التكتيك فى الممارسات السياسية للبورجوازية الاسرائيلية • ومماله دلالته ، على سبيل المثال ، ذلك التموية الاجتماعى الذى تستخدمه الاحزاب البورجوازية والموالية للبورجوازية • فهمى تحمل اسماء « العمل » و « الليرالى » وما أشبه ، رغم انها تخدم فى الواقع أهداف التحالف الطبقى وتمهد الأرض امام الرجعية الصهيونية •

وأخيرا ، فالرجعية تمارس فى اسرائيل فى اشد اشكالها تطرفا واستنادا الى النزعات الدينية • انها رجعية العصور الوسطى بكل ظلامها • ومن الواضح ان اسرائيل تتحول يوما بعد يوم الى دولة ثيوقراطية (دينية) ، تعتبر فيها اليهودية دينا رسميا للدولة • ويتمتع الحاخامات بقوة فائقة، وما زالت قوتهم فى تزايد مستمر • والمدرسة فى اسرائيل غير منفصلة عن الدين • وتستخدم التعاليم القديمة للتوارة كقانون • ويستخدم فى البلاد الان التقويم الكتابى المستمد من التوراة • كما أن تعميق النزعات الدينيه المتطرفه وتدعيم مراكز الدوائر الدينية من الظواهر الطبيعية فى كل النظام السياسى الصهيونى • هذا « المذهب » هو الحصيلة الاجمالية للأفكار اليهوديه بعد اضفاء الطابع السياسى عليها ، وتشريعها بشىء من الحداثة • وتستخدم الصهيونية الحديثة المسلمات الجامدة الواردة بالتوراه من أجل تحقيق أهداف سياسية محددة • ويندرج تحت هذا القول ما نراه الآن من تجسيد المسلمة التى تتحدث عن « سيف الله المختار » فى للأفكار اليهودية بعد اضفاء الطابع السياسى عليها ، « عالمية » و « خاصة » ، وفى شعار تجميع اليهود فى «وطنهم» القومى ، اسرائيل ، وفى النزعة التوسعية العدوانية ، وفى ممارسة سياسة الابادة الجماعية ازاء الشعب العربى الفلسطينى ، وما الى ذلك • كما يضع الصهاينة ورجال الدين اليهود ، من الناحية العملية ، جميع سكان البلاد من غير اليهود خارج مظلة القانون ، مما يؤدى الى خلق جو دائم من العداء لبقية السكان •

وتكشف النزعة العـدوانية لاسرائيل الى تصـاعدت تصاعدا كبيرا فى السنوات الأخيرة عن الجوهر البورجوازى القومى والرجعى الدينى المتخلف للأيديولوجية الصهيونية • ان اسرائيل تجتاحها موجات النزعات العدوانية المغلفة بالغموض المتعمد والتعمية ، والشوفينية التى لا كابح لها ، وأكثر أنواع العنصرية تطرفا • ويتجسد ذلك ، على سبيل المثال ، فى القانون الخاص بالاصل اليهودى للمواطن ، والصـادر فى ١٠ مارس ١٩٧٠ ، والذى ينص على أن مواطنى اسرائيـل ينتمون الى الجنسية اليهودية استنادا الى الأساس العنصرى أو الدينى ، ووفقا لرابطة الدم المتوارثة من خلال الأم ، أو نتيجة للتحول الى الديانة اليهودية مع ممارسـة الشـعائر والطقـوس التقليدية •

وفى نفس الوقت ، ما زالت اسرائيـل حـتى اليوم بلا دستور ، وليس بها قانون يوفر الضمانات للحقوق الأساسية وحريات المواطنين الاسرائيليين • وتهدف السياسة الداخلية للحكام الصهاينة المتعصبين دينيا الى القضاء على الديموقراطية البورجوازية البرلمانية الشكلية • ويجرى تقسـيم المواطنين وفقا للمبدا العنصرى الى مواطنين من الدرجة الأولى ومواطنين من الدرجـة الثانية ، الى مواطنين « أنقياء » ومواطنـين « غـير أنقياء » ، وتمارس التفرقة العنصرية ازاء اليهـود السفاريين الوافدين من بلدان آسيا وشـمال افريقيا • أما التفرقة العنصرية ازاء السكان العرب فتتخذ أشكالا بالغـة الوحشية واللا انسانية •

ومن الواضــح أن السياســة العنصرية السافرة التى تنتهجها البورجوازيه الصهيونية فى اسرائيل تهدف الى تعويق وتعطيل العملية الموضوعيــة لتكوين أمة يهودية ذات ســمات مميزة محددة • والقضية هنا هى أن هذه العملية تضعف مواقع البورجوازية الصهيونية ، وتكشف عن الزيف المطبق والطبيعة الغيبية المبهمة للدعاوى التى تنــادى بأن اليهــود يشكلون « شعبا عالميا واحدا » •

وتتخذ الصهيونية ، التى تحكم قبضتها على اسرائيل، كل سمات الأيديولوجية الشبيهة بالفاشية ونظــام سلطتها • كما يحاول المذهب الدينى البورجوازى القومى للصهيونيــة حرف أنظار الجماهير العاملة الاسرائيلية ، والجماهير العاملة اليهودية فى البلدان الأخرى أيضا،عن الصراع الطبقى وصرفها عنه • ومن الجوانب المميزة أيضا للنزعة القومية البورجوازية الصهيونيــة السائدة فى اسرائيل ، تلك الأفكار الجغرافيــة السياسية المهووسة الجامحة المتمثلة فى شــعار « اسرائيــل لليهود ، وكل اليهود على دين الأجداد » •

الصهيونية والســمات الخاصــة للتطور الاقتصادى فى اسرائيل

يصور الصهاينة اسرائيل وكأنهــا نوع من « المعجزة الاقتصادية » • ولكن ثمة حقيقة لا جدال فيهــا ، وهى أن التطور الاقتصادى فى اسرائيل ما كان من الممكن أن يتحقق الا اعتمادا على التــدفق الهــائل لرأس المــال من البلدان الامبريالية • ففى خلال ما يزيد قليلا عن ٢٠ عاما ، فى الفترة من ١٩٤٩ حتى ١٩٧٠ ، بلغ حجم رأس المــال المصدر الى

اسرائيل ، وهى التى يقل تعداد سكانها عن ٣ مليون ، ١١ر٠٠٠ مليون دولار ، وعلى شــكل منح لا ترد أساسا[١] • ويتمثل المصدر الرئيسى لمــا تحصل عليه اسرائيل من أموال فيما يسمى « المعونة » الأمريكيــة ، والتعويضات التى تدفعها جمهورية ألمــانيا الاتحادية ، « والهبات » الصهيونية • وكلما ازدادت تل أبيب امعانا فى سياستها العدوانية والمغامرة ، كلما ازداد تدفق الأموال اليهــا من البلدان الامبرياليــة ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة • وقد حصلت اسرائيل على ٦ر٧٠٠ مليون دولار فى الفترة من ١٩٤٩ حتى ١٩٦٦ ، ثم على ٤ر٣٠٠ مليون دولار فى الفترة من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٠[٢] •

وتغطى هذه الأموال الواردة من الخارج ثلث النفقات الواردة فى ميزانية اسرائيل وحوالى ٩٠٪ من ميزانية التنمية، أى الاستثمارات الأساسية • وفى عام ١٩٧٢ بلغ حجم الدين القومى الخارجى لاسرائيل ، وفقا لمــا صرح به بنحاس سابير وزير المــالية ، ٤ر٢٠٠ مليون دولار ، أى ما يعادل ١ر١٠٠ دولار بالنسبة للفرد الواحد من السكان[٣] • وهكذا فاسرائيل لا تعيش من خلال تطوير اقتصادها هى نفسها ، وانما اعتمادا على مساعدات الغرب ، الأمر الذى يكشف بكل وضــوح عن مدى التحالف الوثيق بين الامبريالية والصهيونية والواقع أن

---

(١) ت. جوزنانسكى ، « اقتصاد الحرب فى اسرائيل » ، وورلد ماركسست ريفيو ، ١٩٧١ ، العدد ٧ ، ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) ازفستيا ، ٥ ابريل ١٩٧٢ .

الدولة الرأسمالية فى اسرائيل تمارس حياتها كنوع من الدولة الطفيلية لأن ما تحصل عليه من موارد لا يتحقق الا نتيجة لاستغلال كل من الجماهير اليهودية والجماهير العامله من عديد من الجنسيات الأخرى •

ونتيجة للأرباح التى يحولها رأس المال الصهيونى الى اسرائيل ، تحولت اسرائيل بالفعل الى اقطاعية للاحتكارات الغربية التى تحصل على المزيد والمزيد من الامتيازات عن طريق تكثيف استغلال الجماهير العاملة اليهودية •

وتهدف المساعدات الامبريالية والصهيوية التى تتقدم الى اسرائيل الى اضعاف حركة التحرر الوطنى فى الشرق العربى ، واسرائيل هى الجسر والقاعدة المسلحة الموجهة ضد هذه الحركة ، وتمثل عسكرة اقتصاد البلاد ، والتى يقع عبئها الفادح على كاهل الطبقة العاملة وغيرها من القطاعات العاملة من السكان ، مصدرا ضخما لما يحققه رأس المال الصهيونى العالمى من أرباح ، ويكفى أن نذكر أن الأرباح المصدرة من اسرائيل قفزت من ٩٤ مليون دولار فى عام ١٩٦٥ الى ١٦٥ مليون دولار فى عام ١٩٧٠[١] • ويؤكد التطور الاقتصادى للبلاد أن هذا الاقتصاد يندمج يوما بعد يوم فى المجمع العسكرى الصناعى الامبريالى فى الولايات المتحدة •

ويحقق استغلال الأراضى العربية المحتلة أرباحا هائلة سواء للبورجوازية الاسرائيلية أو للاحتكارات الأجنبية

---

(١) ت• جوزنانسكى ، المصدر السابق ، ص ٣٢

(توسيع الأســـواق التى تباع بهـــا السلع التى تحمل علامة « صنع فى اسرائيل » ، والحصول على البترول ، والاستغلال الاستعمارى للعمال العرب ، وما الى ذلك) • ولقـــد تحولت الأراضى العربيـــة المحتـــلة الى مستعمرة لاسرائيـــل بالمعنى التقليدى الكامل للكلمة •

وتتسم المخططات الصهيونية الخاصة بالتطور الاقتصادى فى اسرائيل بطبيعتها التوسعية الاستعمارية الصارخة ، وهى تهدف الى تحويل اسرائيل الى نوع من « الورشة الصناعية »، أو « لانكشاير الشرق الأوسط » ، على أن تلعب البلدان العربية بالنسبة لها دور الملحقات التى توفر المواد الخام •

المذهب الصـــهيونى :

جوهر السياسة الخارجية لاسرائيل

يتجسد التزام حكام اسرائيـــل برســـالة الصهيونية فى سياستهم التى تهدف الى اقامة « اسرائيل الكبرى » • وهيا نسترجع هنا المراحل المشئومة لتلك السياسة : ابتـــداء من الاستعمار اليهودى « للوطن التـــاريخى » على حـــد زعم هرتزل ، الى استيطان المهاجرين اليهود فى « فلسطين الخالية من السكان » (فالعرب لا يعتبرون فى عداد سكان فلسطين، وأجبروا بالقوة على الهجرة من مدنهم وقراهم) ، ثم تكوين دولة اسرائيل فيما بعد والبدء فى تطبيق شعار تجميع اليهود من جميع أنحاء العالم والمطالبة بتوسيع « المجال الحيوى » لهم (وأعقب ذلك طـــرد الفلسطينيين من بلادهم وتحويلهم الى لاجئين) ، ثم أخيرا احتلال الأراضى العربيـــة فى عام

١٩٦٧ والتى تزيد مساحتها كثيرا حتى عن مساحة فلسطين الأصلية • والصهاينة يعلنون دون مواربة أن «معاملة الفلسطينيين ككيان سياسى لا يتفق مع أسس السياسة الداخليه والسياسة الخارجيه لاسرائيل »[١] •

فهل هناك ما هو أكثر صراحة من ذلك ؟

ولسنا فى حاجة الى القول بأن الجانب المقابل لهذا المنطق لا يخلو أيضا من الوضوح والسفور ، فكل نجاح تحققه الصهيونية لا يعنى الا بدء مرحلة جديدة من تصاعد مخططاتها ، وتوسعها الجغرافى • ويطالب الصهاينة اليوم باعادة انشاء اسرائيل « التاريخية » فى الحدود التى لا يقررها شىء الا منطق القوة ، وفى شهر مارس ١٩٧٢ ، أصدر البرلمان الاسرائيلى قرارا يعلن حق اسرائيل « الذى لا نزاع فيه » فى الأراضى الممتدة من سيناء الى الفرات ، أى أراضى سوريا والأردن •

وتنبثق سياسة التوسع الدائم التى ينتهجها حكام اسرائيل ضد البلدان العربية من جوهر المذهب الصهيونى بأسسه الدينية اليهودية • وتشكل مبادىء البرنامج الصهيونى الدينى القاعدة التى تقوم عليها السياسة الخارجية لجماعة القمة فى اسرائيل • وعلى سبيل المثال ، بالمفهوم الدينى اليهودى لاسرائيل الكبرى يعنى قيام دولة عالمية فى الحدود الممتدة « من النيل الى الفرات » (سفر

---

(١) د• بيرتز ، « عرب فلسطين خرافة أو سراب » ، الشئون الدولية يناير ١٩٧٠ ، ص ٣٢٢ •

التكوين) • كما جاء فى التوراة أيضا أنه « وكل مكان تطأه أقدامكم سوف يصبح ملكا لكم » (سفر التثنية) • وتستخدم الصهيونية كل ذلك كتبرير أيديولوجى لنفس « الحقوق التاريخية » ، وللعدوان الذى يمارسه الصهاينة مهما كانت نحلهم ومشاريعهم •

لقد ضم الصهاينة حكام اسرائيل القسم الشرقى من القدس ، وقاموا بتنفيذ عدد من الاجراءات التى تتناقض مع الوضع الدولى لهذه المدينة ، ورفضوا بكل صلافة أن يلتزموا بقرارات الأمم المتحدة • وتقول التوراة : « ياأورشليم •• أيتها المدينة المقدسة : من الآن فصاعدا •• لن يطأ أرضك من هو غير مختون أو لا تجرى فى عروقه الدماء النقية » (المرجع السابق ، كتاب النبى عيسى) •

وهنا يبرز سؤال : هل يستطيع حكام اسرائيل ، الذين يلتزمون بالمذهب التوسعى الصهيونى الموجه ضد العرب ، أن يتوقعوا قيام التعايش السلمى والفهم المتبادل مع البلدان العربية ؟

ان تدعيم التحالف مع الدول الامبريالية هو القاعدة التى تقوم عليها السياسة الخارجية لاسرائيل • ولاشك أن مصالح الامبرياليين تلتقى تماما مع مصالح حكام اسرائيل على قاعدة أهدافهم التوسعية ضد العرب والنضال ضد حركة التحرر الوطنى فى الشرق الأوسط • فاسرائيل هى قاعدة الامبريالية فى منطقة شرق البحر المتوسط • والاستناد الى الامبريالية

هو المبدأ الجوهرى التقليدى فى الاستراتيجية الصـــهيونية الاسرائيلية فى مجال السياسة الخارجية •

وتمثل السياسة العدوانية التى ينتهجها حكام اسرائيل تهديدا دائما سواء بالنسبة للدول المجاورة أو بالنسبة للسلام العالمى بشكل عام • ويتجسد النهج المغامر لحكام اسرائيل على وجه الخصوص فى الخطوات العملية التى تتقدم عيهـــا هـــذه لدولة يوما بعد يوم تنفيذا لارادة الصهيونية العالمية ببرنامجها الجغرافى السياسى الذى يهدف الى اقامة اسرائيل الكبرى، التى تلعب دورها فى نفس الوقت كعميل للامبريالية، والامبريالية الأمريكية فى المقام الأول، والتى تريد أن تبقىالى الأبد على القهر الاستعمارى الجديد لشعوب الشرق الأوسط وأن تحول دون أى تغير تقدمى فى البلدان العربية • وفى كلتا الحالتين تكشف دولة اسرائيل عنوجهها كعامل رجعى لم يسبق له مثيل •

جاء فى وثائق المؤتمو السادس عشر للحـــزب الشيوعى الاسرائيلى ما يلى : « والصهيونية تعمل فى الشرق الأوسط من أجل تدعيم المراكز السياسية والاقتصادية والاستراتيجية للدول الامبريالية • وهى تعمل بمساندة هذه الدول من أجل التوسع الجغرافى لدولة اسرائيـــل • والصهيونية تعـــادى الشعب العربى الفلسطينى والحركة الوطنية العربية المعادية للامبرياليـــة بأسرها ، ومن ثم فالصهيونية تعـــادى المصالح

الحقيقية لشعب اسرائيل • »[1] • ويؤكد الشيوعيون الاسرائيليون ، بحق ، أن « النزعة القومية البورجوازية الصهيونية التى تسيطر فى بلادنا ، جلبت ولا زالت تجلب المآسى لشعب اسرائل ولدولة اسرائيل »[2] •

مبادىء ، وطبيعة التعاون بين حكام اسرائيل والصهيونية العالمية

يؤكد تحليل القانون الاسرائيلى الخاص الصادر فى عام ١٩٥٢ ، والاتفاقية المبرمة فى عام ١٩٥٤ بين حكومة اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية أن جوهر العلاقة بين الجانبين يتركز فى أن المنظمة الصهيونية العالمية تتعامل مع اسرئيل كما لو كانت اقطاعية تابعة لها ، بينما تدافع عن مصالحها خارج حدودها « استنادا الى أسس شرعية » ، وتنفذ المنظمة لصلحة اسرائيل العديد من الخطوات التى لاتستطيع حكومتها نفسها أن تقدم عليها • وقد أعلن الطرفان فى البيان المشترك الصادر عنهما فى عام ١٩٦٤ أن نشاطهما يهدف الى خدمة « القضية المشتركة » • ثم تأكدت مشاركة ومسئولية اسرائيل عن نشاط الصهيونية العالمية مرة أخرى فى المبادىء الأساسية لحكومة اسرائيل (١٩٦٩) ، والتىتنص

---

(١) الحزب الشيوعى الاسرائيلى • وثائق المؤتمر السادس عشر ، ٣٠ ينساير — اول فبراير ١٩٦٩ النشرة الاخبارية ١٩٦٩ ، العدد ٣و٤ ، عدد خاص ، ص ٢١٢ •

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٤ — ١٦٥

على وجه الخصوص على أن حكومة اسرائيل سوف تعمل على توحيد جهودها مع الحركة الصهيونية[1] •

وأعلنت الصهيونية العالمية أن هجرة اليهود الى اسرائيل هى مهمتها الأساسية ، وقدمت مبدأ « ليس يهوديا من لا يتوجه الى اسرائيل » ، أى الى « وطنه التاريخى » كتبرير « نظرى » • والصهيونية تسعى الى تحقيق الهجرة مهما كانت الوسيلة ، ويعنى ذلك من الناحية العملية أن الهجرة تتحول الى وسيلة لممارسة العنف ضد الجماهير اليهودية ، وأداة للتدخل فى الشئون الداخلية لدول الأخرى وتستخدم الهجرة الصهيونية كذريعة لكافة أنواع الاستفزازات والتخريب الرجعى ، وخاصة ضد الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الأخرى •

ويزعم الصهيانية أن اسرائيل هى وطن « الشعب اليهودى الواحد » ومركزه الروحى ، وينادون بالمواطنة المزدوجة أو الجنسية اليهود فى جميع البلدان ، ويطالبون بالاعتراف الدولى بهذا المطلب • كما يطلب الصهاينة من الأشخاص الذين ينحدرون من أصل يهودى أن يكون ولاءهم مزدوجا ، وأن يوافقوا على السياسة المدمرة المغامرة للمتطرفين الاسرئيليين ، وأن يساندوا هذه السياسة حتى ولو تطلب الأمر خيانة البلدان التى يقيمون فيها بشكل دائم •

---

(١) انظر ، اسرائيل ، الكتاب السنوى للحكومة ، ٥٧٣٠ (١٩٦٩ — ١٩٧٠) ، ١٩٧١ ، القدس ، ص ٢٦ •

يقول ن. جولدمان ، الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية : « وربما وصل الامر الى الدخول فى نزاع حاد مع السياسات الحكومية فى بعض البلدان »[1] .

واخيرا ، تطالب الصهيونية العالميـة بالسيطرة المطلقة على الجماعات اليهودية فى جميـع أنحاء العـالم باعتبارها « جماعات يهوديه خاصة » . ومن مصلحة الصهيونية تعميق معاداة السـاميه كقوة دافعـة لتدعيم صـفوف الصهيونية وزيادة عدد المهاجرين الى اسرائيل .

ويهتم الصهاينة من الناحية العملية بتطبيق الفكرة التى تقول بأن اسرائيل دولة يدين لها بالولاء جميـع يهود العالم وأنها صاحبة « رسالة عالمية » ، والمقصود بذلك هو أن يكون لها الحق فى ممارسـة النشاط التخريبى اسـتنادا الى قوة القانون ، مع انشـاء « الطـابور الخامس » فى البـلدان الاشتركية حيث تتطلع الصهيونية الى بذر بذور الشـقاق القومى والدينى اللذين قضت عليهما الثورة .

ولم يعد التحالف بين اسرائيل والصهيونية العالميةخطرا مباشرا بالنسبة للعـلاقات بين الدول فى الشرق الأوسـط فحسب ، وانماقى جميع أنحاء العالم أيضا . وقد أدى هـذا التحالف الى قيام نوع من الامبراطورية الصـهيونية خارج الحدود الجغرافية ولكن فى اطار حدود سياسية تم تخطيطها بالفعل . والبورجوازية الاحتكارية الغربية هى الحاكم الفعلى

---

(١) جيروساليم بوست ، ٨ يناير ١٩٧٠ .

لهذه الامبراطورية • أما الدعامة المالية الأساسية للامبراطورية الصهيونية فتتمثل فى الجماعة الدولية لكبار المليونيرات الصهاينة • وتتحول دولة اسرائيل داخل هذه الامبراطورية غير المرئية الى قاعدة تنظيمية وسياسية للنشاط الموجه ضد الاشتراكية ، وضد حركة الطبقة العاملة فى الغرب ، وضد قوى التحرر الوطنى •

* * *

واستنادا الى كل هذه الحقائق يمكننا أن نخلص الى النتيجة الاتية : أن « مذهب الصهيونية » يتعارض مع مصالح الجماهير العاملة الاسرائيلية ، ويحمل تطبيقه عمليا فى طياته تهديدا مباشرا للشعب الاسرائيلى ، ولاسرائيل نفسها كدولة • ان الطريق الى التعايش السلمى أمام اسرائيل الصهيونية كدولة من دول الشرق الأوسط ، طريق مسدود تماما • كما يخلق تحالف اسرائيل والصهيونية تهديدا مستمرا للسلام فى المنطقة ، وفى العالم كله •

ولهذا السبب تزداد يوما بعد يوم العزلة الدولية للمجموعة الصهيونية المتربعة على قمة السلطة فى اسرائيل ، وتتسع ادانة الرأى العام العالمى للنشاط الاستفزازى والتخريبى للمنظمات لصهيونية •

وتتطلب المصالح الحقيقية للشعب الاسرائيلى التخلص الكامل من الصهيونية و « مذهبها » التوسعى المعادى لمصالح الشعب • ويطالب الحزب الشيوعى الاسرائيلى بحق بعدم الخلط بين دولة اسرائيل والشعب الاسرائيلى ، وينص القرار

الخاص الصادر عن المؤتمر السادس عشر للحزب الشيوعى الاسرائيلى حول « المسألة اليهودية والصهيونية فى الوقت الراهن » على أن « سياسة الدوائر الحاكمة ، القائمة على الايديولوجية الصهيونية ، تعرض مستقبل دولة اسرائيل للخطر . وتلحق الصهيونية أفدح الأضرار بالجماعات اليهودية أينما وجدت ، وبالقضية العامة للتقدم والاشتراكية. ومن هنا يحظى الصراع الايديولوجى ضد الصهيونية بأهمية خاصة فى الوقت الراهن »[1] . ويؤكد الشيوعيون الاسرائيليون أن « النضال ضد الايديولوجية الصهيونية والسياسة الصهيونية يشكل جزءا لا يتجزأ من النضال العام ضد التخريب الايديولوجى الذى يقوم به أعداء الاشتراكية والتقدم »[2] .

وتنتشر المطالبة بتصفية السيطرة الصهيونية على اسرائيل سواء داخل البلاد نفسها أو بين اليهود فى البلدان الأخرى ، فلا مستقبل لاسرائيل الا فى التخلى عن النزعة التوسعية ، والتخلص من الصهيونية ، واعادة بناء الحياة السياسية والاقتصادية من جديد وفقا لمبادىء الديمقراطية ، والنضال المشترك مع الشعوب العربية ضد الامبريالية . وسوف يناضل الشيوعيون الاسرائيليون ، وجميع القوى التقدمية فى اسرائيل ، كما ناضلت دائما ، بكل جسارة وبلا كلل من أجل هذا المستقبل .

---

(١) الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، وثائق المؤتمر السادس عشر ، ص ١٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

العنصرية والصهيونية ـ الايديولوجية الامبريالية

بقلم

ب. فيدوسييف

يتصدى العلم الماركسى اللينينى لعديد من المهام ، ومنها فضح كافة أشكال العنصرية ، بما فى ذلك العنصرية الصهيونية ، وتقديم تحليل نقدى لما يمارسه العنصريون المعاصرون ، الذين يعادون التقدم الاجتماعى والأمن الدولى ، من نشاط مضاد لصالح الشعوب .

والعنصرية ، تاريخيا ، هى من نتاج المجتمع العبودى ، كتبرير ايديولوجى للسيطرة على القبائل المستعبدة والفئات والطبقات « الدنيا » . ثم أخذت العنصرية فى الانتشار بخطى سريعة فى العصر الحديث نتيجة للغزوات الاستعمارية واستجلاب العبيد الى الولايات المتحدة . وأخذ الاستعماريون وملاك العبيد ينشرون ، فى دأب ومثابرة ، النظرية الحقيرة عن تفوق جنسهم على الشعوب المستعبدة ، وحظى تشمبرلين

وجوبينيو وغيرهما من دعاة النظرية العنصرية بكافة أنواع المساندة والدعم فى المجتمع البورجوازى وانتشرت أفكارهم على اوسع نطاق •

وبينما يؤكد العنصريون بكافة الطرق على التفاوت فى التطور الثقافى بين الشعوب ، ويقسمون سكان الأرض الى فئات « عليا » وفئات « دنيا » ، ويزعمون أن الأجناس « الملونة » قاصرة ومتخلفة ذهنيا ، تثبت الماركسيه ، واستنادا الى الحقائق العلمية الصلدة ، أن التفاوت فى المستوى الثقافى للشعوب لا ينبع من أى فوارق عنصرية أو قومية ، وانما يتمشى مع المراحل المقابلة له من التطور التاريخى •

ويؤكد علم الانسان الحديث ، وبما لايدع مجالا للشك فكرة وحدة الجنس البشرى والمساواة فى القدرات العضوية والذهنية بين جميع الشعوب ، بغض النظر عن اللون ، ويدحض كافة الدعاوى الزائفة التى يروجها العنصريون حول « تفوق » أو « دونية » جنس أو آخر •

ثم تكثف القهر العنصرى وازدادت الايديولوجية العنصرية انتشارا على وجه الخصوص بالانتقال من رأسمالية ما قبل الاحتكار الى السيطرة الرجعية للامبريالية ، واتخذت أكثر دوائر البورجوازية عدوانية ، وخاصة المحرضين على اشعال نيران الحرب العالمية الثانية ــ النازيون الألمان

والعسكريون اليابانيون ـ من النظرية العنصرية سلاحا ايديولوجيا لتحقيق مآربهم الآثمة .

وبالرغم من الهزيمة الساحقة التى حاقت بالايديولوجية العنصرية نتيجة لدحر الفاشية ، الا أن العنصرية لم تقتلع تماما بعد من الحياة الاجتماعية فى العالم . وان كانت القلعة الرئيسية للعنصرية ، متمثلة فى ألمانيا النازية واليابان العسكرية ، قد تمت تصفيتها ، الا أنه مازالت هناك بعض مراكز القهر العنصرى التى تمارس نشاطها حتى اليوم .

ومازال للافكار العنصرية حتى وقتنا الراهن العديد من الاتباع والانصار بين دوائر لها نفوذها وتأثيرها الملموس فى كبرى البلدان الرأسمالية فى عالمنا المعاصر ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية ، والأقليات القومية فى الولايات المتحدة، والتى تشكل حوالى ٢٠٪ من سكان البلاد ، تخضع لأشد أنواع القهر العنصرى قسوة داخل تلك القلعة المزعومة لما يسمى « الديمقراطية الغربية » . يقول لينين وهو يسلط الأضواء على الطبيعة العنصرية للبورجوازية الأمريكية : « وبعد أن « حررت » الزنوج ، فى ظل الرأسمالية الجمهورية الديموقراطية الحرة ، لم تدخر وسعا فى استخدام كل شىء ممكن ، والاقدام على كل شىء ممكن أو غير ممكن ، من أجل مواصلة قهرها المخزى والخسيس للزنوج »[١] .

---

(١) ف. ا. لينن ، مجموعة المؤلفات ، موسكو ، المجلد ٢٢ ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

واتخذ لينين من الولايات المتحدة مثالا ليزيح النقاب عن العلاقة الوثيقة بين الطبيعة الاستغلالية للرأسمالية والقهر العنصري ، وكتب يقول : « ... ووضع الزنوج فى أمريكا بشكل عام ، وضع لا يجدر ببلد متحضر . ان الرأسمالية لا تستطيع أن تمنح التحرر الكامل ولا حتى المساواة الكاملة ... وياللعار الذى يلطخ وجه أمريكا لما انتهى اليه مصير الزنوج ! »[١] . وهاهى الجرائم التى يرتكبها العنصريون فى الولايات المتحدة فى الوقت الراهن تميط اللثام عن حقيقة الامبريالية الأمريكية أمام أعين العالم كله .

ان أى خطوة يقدم عليها الزنوج أو الهنود الأمريكيون، أو أى أقلية قومية أخرى ، دفاعا عن حقوقهم ، تقابل بأشد أنواع القهر والتنكيل قسوة وضراوة . وتقوم الشرطة بضرب وتصفية أى تحرك لمنظمات الزنوج ، ويستأجر القتلة المحترفون لاغتيال زعمائهم . ولكم استبد الجزع بالعالم كله وهو يرقب الزعيمة الزنجية الباسلة ، والشيوعية الأمريكية أنجيلا ديفيز ، وهى تواجه خطر ما دبر لها من مكائد فى ساحة القضاء .

ولا تتردد العناصر الحاكمة فى الولايات المتحدة عن استعارة المفاهيم العنصرية للنازيين حتى تتمكن من تبرير اجراءاتها غير القانونية وسياسة التمييز والتفرقة التى تنتهجها ازاء الزنوج . و « علماء » الولايات المتحدة

---

(١) المرجع السابق ، المجلد ١٨ ، ص ٥٤٤ .

لا يتوقفون عن كتابة كل أنواع الدراسات والأبحاث فى محاولة لأن يثبتوا، بطريقة أو أخرى ، أن الزنوج جنس متخلف عنصريا ، وهاهو أ. جنسون ، أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا ، على سبيل المثال ، ينشر مقالا فى احدى المجلات يزعم فيه أن السود يتخلفون كثيرا وراء البيض فيما يتعلق بالقدرات الذهنية نتيجة لعدد من الفوارق الوراثية. وكان من الطبيعى أن يستقبل هذا المقال الذى ينسب زورا الى العلم بالحفاوة البالغة من جانب الطغمة الحاكمة ، بل واندفع أحد أعضاء الكونجرس ليتلو نصه كاملا أمام أحد اجتماعات المجلس .

وهناك بلدان رأسمالية أخرى ، الى جانب الولايات المتحدة ، لا زالت العنصرية فيها متحفزة وقادرة على العدوان ، وفى مقدمتها جمهورية جنوب افريقيا التى وجدت الايديولوجية العنصرية فيها طريقها الى دستور البلاد نفسه. وتتميز هذه الدولة العنصرية بوجود قوانين تنص رسميا على عدم المساواة العنصرية فى جميع مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، وتوجه ضد أبناء البلاد المحليين الذين يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان .

كما أقيم نظام عنصرى بوليسى أيضا فى جنوب روديسيا ، وهى مستعمرة بريطانية سابقة ، وتقع مسئولية وجود هذا النظام المقيت على عاتق السلطات البريطانية التى كانت تساند العنصريين فى جنوب روديسيا علنا منذ البداية،

ثم دخلت فى تحالف رسمى مع الحكومة العنصريه فيما بعد، وفى نحد سافر للراى العام الديموقراطى العالمى •

والعنصرية هى التجسيد الدقيق للطبيعة غير الانسانية للرأسماليه ، والتبرير الايديووجى لسياسه التفرقه والتمييز والابادة الجماعية للشعوب ، كما أنها من أخص الوسائل التى تستخدمها الأمبرياليه للمحافظة على مواقعها المتهاوية فى مواجهة موجات التغيير الحتمى التى تتعالى لمصلحه قوى السلام والتقدم والاشتراكية •

ولم يكن من قبيل الصدفة أن تحظى الايديولوجية العنصرية السوفيتية ، والأساليب العنصرية ، بالترحاب الحاد والقبول الكامل من جانب الصهيونية العالمية وقوة صدامها المتمثلة فى الدوائر المتطرفة الاسرائيلية • ويبذل زعماء الصهيونية عناية فائقة من أجل أن يحجبوا عن الرأى العام العالمى الوثائق التى تفضح تحالفهم وتآمرهم الأثم مع زعماء النازية أثناء الحرب العالمية الثانية •

ويستخدم حكام اسرائيل العنصرية والشوفينية كسلاح لتنفيذ سياستهم القائمة على السلب والنهب وقهر الجماهير العاملة • ويتعرض العرب الذين يعيشون فى اسرائيل وفى الأراضي العربية التى تحتلها تل أبيب ، لأشد أنواع الاستعباد القومى ، والارهاب الجماعى ، والمطاردة ، ولقد وقف الاتحاد السوفيتى ، الأمين لمبادىء الحرية واستقلال الشعوب ، ولا يزال يقف ، الى جانب البلدان العربية فى نضالها ضد

الامبريالية والصهيونية ، ومن أجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلى فى أقرب وقت •

والصهيونية عدو لدود للصداقة والسلام بين الشعوب• ويتهم زعماء الصهيونية أى ادانة لسياستهم بمعاداة السامية• ولكن شعوب العالم كشفت منذ وقت طويل حقيقة هذه الخدعة الرخيصة والقديمة التى يلجأ اليها المعتدون الاسرائيليون • فمعاداة السامية ، شأنها شأن أى مظهر آخر للعنصرية ، لا تمت بصلة للنظام السوفيتى ، بل ويجرم القانون السوفيتى أى دعوة تنادى بالتفرقة ، أو الكراهية العنصرية أو القومية • ولن تستطيع التشويهات المعادية للسوفييت التى يتعالى بها صياح الزعماء الاسرائيليين أن تخدع أحدا •

ان اسرائيل هى التى يدور فيها الكلام الآن كثيرا حول نقاء الدم وتحريم الزواج المختلط • وفى هذه الدولة ينقسم اليهود انفسهم الى مواطنين من الدرجة الأولى ومواطنين من الدرجة الثانية وفقا لبلد المولد ووفقا للون • وهذه هى احدى الحلقات المشينة فى سلسلة الممارسات السوفيتية العنصرية العديدة للصهيونية العالمية •

ولازالت للعنصرية جذورها فى أجزاء أخرى من العالم أيضا ، بل وهى لم توارى بعد حتى فى غرب أوروبا ، ويكفى أن نشير هنا الى أوضاع المهاجرين « الملونين » فى انجلترا

وما يتعرضون له من ألوان العسف والاضطهاد ، حتى بلغ الأمر بأحد الزعماء البارزين لحزب المحافظين ، وهو ا. بادل، أن تقدم صراحة ببرنامج عنصرى يهدف الى حظر «الملونين» من دخول انجلترا •

وفى اليابان ،أيضا ، يطل العنصريون وأذنابهم برؤوسهم وهم أولئك الذين سبق لهم أن أنشأوا عصبة شرق آسيا الشوفينية بغرض تحقيق ما يسمى « دائرة الرخاء المشترك لشرق آسيا » ، والذين كانوا يعزفون على أوتار تفوق الجنس الأصفر ويروجون لدعاواهم الشوفينية العدوانية تحت شعار « آسيا للآسيويين » • ومازال العالم يذكر المجازر التى تمخض عنها عدوان اليابان عندما اندفعت تحقق مخططاتها العنصرية •

والماركسية ـ اللينينية تعارض الشوفينية بكل شدة وحسم ، ومهما كان مصدرها • « فالشوفينية » ـ كما يقول كارل ماركس ـ « وسيلة لمنع التعاون الدولى للطبقة العاملة، والذى يمثل شرطا أوليا لتحررها »[1] • وأما ايديولوجية الحزب الشيوعى السوفيتى والشعب السوفيتى كله فهى الايديولوجية الأممية • والاتحاد السوفيتى هو التجسيد الحى للحقوق المتساوية •

---

(1) ك. ماركس ، وف. انجلز ، المؤلفات ، المجلد ١٧ ، ص ٦٢ه (بالروسية) •

والنقد الذى يكتفي بالقول دون الفعل ضد العنصرية لا يكفى وحده لتحقيق النتائج المرجوة • ففى الوقت الراهن، وبعد أن أدانت البشرية كلها العنصرية ووصمتها بالعار، يحاول بعض العنصرين أن يرتدوا أمام الناس مسوح معاداة العنصرية انهم يدينونها بشكل عام ، وبالأقوال ، ولكنهم غالبا ما يساندونها بالأفعال ، ويمارسون التفرقة العنصرية فى مسلكهم العملى • وهكذا تحاول الصهيونية العالمية ومنظماتها، انطلاقا من مواقع العنصرية السافرة والعدوان ، أن تستخدم أشكالا تعمل على تمويهها بكل دقة حتى تتمكن من التأثير على الوعى الاجتماعى للشعوب ، ويود الصهيونيون أن يفرضوا « موقفا انسانيا فوق الطبقات » باستخدام حجج « قومية ــ تاريخية » زائفة •

ويتطلب نجاح الجماهير العاملة فى نضالها ضد كافة أشكال القهر القومى نضالا حازما ضد محاولات تهريب المبادىء العنصرية الى صفوف حركة التحرر ، وتؤكد التجربة التاريخية لجماعة « البوند » مدى الأضرار التى تتعرض لها القضية نتيجة للتخلى عن مبدأ الاممية ، فقد حاولت هذه الجماعة أن تمارس نشاطها استنادا الى الفكرة الصهيونية التى تنادى بالوضع المتميز والخاص للشعب اليهودى ، وهى فكرة أكد لينين مرارا أنها زائفة بشكل مطلق ورجعية فى جوهرها • كما رفض جميع الأمميين المخلصين فكرة « البوند » لأنها تدعم مواقع أعداء الثورة الذين يحاولون تصوير الحركة

الاشـــتراكية ، ليس كحـــركة طبقية ، وانمـــا كحركة لبعض الشعوب والأجناس على وجه الخصوص .

وتثبت كتابات ماركس وانجلز ولينين ، وأنصارهم ومن يواصلون مسيرتهم ، واستنادا الى حقائق العلم ، أن تطور الشعوب يجرى وفقا لقوانين اجتماعية مشتركة ، وأن هناك سمات مشتركة وجوهرية تجمع بين الشعوب جميعا عند مراحل معنية من تطورها التـــاريخى ، بصرف النظر عن الخصائص القومية المميزة لكل شعب ، وأما ترييف الذى السمة أو تلك من سمات التطور التـــاريخى والثقافى للشعوب فهو دائما من وحى وصنع المصالح الطبقية الرجعية .

ويسجل التاريخ أن سياسة الابادة الجماعيـــة للشعوب التى مارسها المعتـــدون الأمريكيون ضد المـــدنيين فى فيتنام الجنوبية أدت الى قتل وجرح وتشريد حوالى ٦ ملايين من السكان العزل من السلاح ، أى أكثر من ثلثى اجمالى سكان البلاد ، كما بلغعدد اللاجئين العرب الذين تشردوا نتيجة لطرد السكان العرب من الأراضى العربية التى احتلتها اسرائيـــل حوالى ٥ر١ مليون .

والواقع أن أى نظرة تتجاهل التحليـــل الطبقى للقوى العالمية وتحاول تصنيفها تصنيفا تعسفيا ، لا تعدو أن تكون مظهرا من مظاهر الايديولوجية الرجعية ، فما هو الهدف من وضـــع الشرق فى مواجهـــة الغرب كطرفين متقابلين دون أى

تحليل طبقى للظواهر الاجمتاعية ؟ ان هذا النهج لا يعنى فى الواقع الا محاولة التستر على رغبة أصحابه فى بسط سيطرتهم على العالم ، واستخدام الشوفينية والتعصب العنصرى من أجل فتح الباب أمام سياسة وايديولوجية الدولة الكبرى .

الصهيونية : نوع من أنواع الشوفينية والعنصرية

بقـلم :

مارك ميثين

تحتل الصهيونية ، وهي الايديولوجية الرجعية والقومية للبورجوازية الكبيرة اليهودية والأســاس الذى تنبثق منـه سياستها العملية ، مكانا بارزا فى ترسـانة الوسـائل التى تستخدمها القوى الرجعية الامبرياليـة فى محاولاتها لفرض تأثيراتها الايديولوجية المضللة على الجماهير •

ويشكل الصهانية احدى الفصائل العدوانية للامبريالية العالمية ، وتنتشر منظماتهم المختلفة فى عـديد من البلدان ، ويتجه نشاط « المنظمة الصهيونية الدولية ، والتى تتخـذ من نيويورك والقدس مقرين لقيادتها وتنتشر فروعها فى أكثر من ٦٠ بلدا ، أساسا ضد البلدان الاشتراكية والحركة الشيوعية العالمية وحركة الشعوب العربيـة من أجـل التحرر الوطنى

ويتولى « المؤتمر اليهودى الدولى » ، وهو أيضا من المنظمات الصهيونية ، مهمة العمل الدعائى بين الجماهير اليهـودية فى البلدان الرأسمالية ، بل ويحاول ممارسـة نفس النشاط فى بعض البلدان الاشتراكية .

وتمتلك الحركة الصهيونية ، وهى وثيقة الارتباط بالدوائر الحاكمة فى اسرائيل ، جهازا ضخما للدعاية يعمل تحت امرتها، وتفيد احـدى النشرات الرسـمية وهى نشرة « الصـحافة اليهودية فى العالم » ، وتصدر فى لندن ، أن هناك حوالى ٨٥٠ جريدة ومجلة لليهود تصدر باللغتين البيدية والعبرية وغيرها، تضع نفسها جميعا تحت تصرف الحركة الصهيونيـة ، ناهينا عن محطة الاذاعة الاسرائيلية التى تبث ارسـالها بجميـع اللغات الأساسية فى العالم .

ومن أجـل محـاولة التستر على المتـايز الطبقى بين اليهود ، واخفاء التناقضات بين أغنياء اليهود وفقرائهم، تزعم الدعاية الصهيونية أن الوضع المـادى للفئات المختلفـة من اليهود أقل أهمية مما يربط بينها جميعا من « انتماء وجدانى» ومما يجمع بينهـا من « مصير مشـترك » تاريخى ، ويعلن المنظرون الصهاينة أن الأمم أكثر أهمية بكثير من الطبقات ، فالطبقات تظهر ثم تزول ــ كمـا يزعمون ــ أما الأمم فهى الخالدة الباقية . وانطلاقا من هذا الزيف تريد هذه النظريات لنا أن نصدق أن الأمة اليهودية لا يمكن تناولهـا من مواقع طبقية .

والصهانية يتجاهلون أن الأمـة تتكون من عـدد من السـمات التى لابد من توفرها وهى الحيـاة الاقتصـاديه المشتركة ، والأرض المشتركة ، واللغة المشـتركة ، والثقافة المشتركة ، ونقطة البداية فى مذهبهم هى المقدمة المنطقية التى تدعن أن اليهود « أمة تقـع خارج نطاق التشريع المحلى » للبلدان التى يعيشون فيها ، ولا يمل الايديولوجيون الصهانية من ترديد الحديث عن « الماضى المشترك » و « الوجـدان المشترك » و « النضال المشترك » وغير ذلك من التعريفات الجوفاء ، كما لا يكفون أيضـا عن الحـديث عن « الديانة المشتركة ، رغم ما هو معروف من أن الدين لم يكن فى يوم من الأيام أحد العناصر التى تميز الأمـة ، ويكفى أن نذكر هنا أن سكان البلد الواحد ، ومن أمة واحدة ، كثيرا ما ينتمون الى ديانات مختلفة ، ناهينا عن أن عـديدا من الناس الذين يتطور فكرهم فى مواكبة للانجازات العلمية فىعصرنا يتخلصون من الأفكار الدينية نهائيا •

وتتضمن ترسـانة الدعاية الصهيونيـة نفس الخرافات القديمة التى ظلت اليهودية تزرعها طوال عدة قرون فى رؤوس الجماهير العـاملة والتى تصف اليهـود بأنهم « شعب الله المختار » وتتحدث عن « عودة المسيح » وعن « الوجـدان المشترك » لليهود كافة •

ولكنا نستطيع ، استنادا الى المفهوم الطبقى الماركسى، أن ندرك حقيقة هذا الذى يسمى الوجدان المشترك لليهود •

وترى أى « وجدان مشترك » هذا الذى يمكن أن يجمع ، مثلا ، بين عامل يهودى فى مصنع للسيارات بموسكو والمليونير اليهودى روتشيلد !

وتدعيما لنظريتهم عن « الوجدان المشترك » لليهود ، يتحدث الصهاينة كثيرا عن وجود ثقافة قومية يهودية واحدة. ولكن الواقع أن اليهود أبدعوا قيما ثقافية فى عصور مختلفة ، وفى مجتمعات متباينة ، تحت التأثير المادى والمعنوى لهـذه المجتمعات وليس تحت تأثير أى « فكرة يهودية » . ويؤكد المفهوم العلمى أن الثقافة القوميـة فى المجتمع البورجوازى لا يمكن اعتبارها كلا متكاملا . وقد أثبت لينين ، استنادا الى نظرية الطبقات والصراع الطبقى ، وجود ثقافتين قوميتين فى كل ثقافة قومية ـ ثقافة تقدمية صاعدة،وثقافة رجعية متخلفة، وتطبيقا لهذا المفهـوم على الثقافة اليهـودية يقول لينين : « والثقـافة القوميـة اليهـودية هى شـعار الحـاخامات والبورجوازية ، شعار أعدائنا . ولكن هناك عناصر أخرى فى الثقافة اليهودية وفى التاريخ اليهودى ككل »(١) .

ولعب لينين وجوركى دورا بارزا فى شرح طبيعة الدور الذى يلعبه الأدب اليهودى التقـدمى ، وهـو أدب يسوده التعاطف مع فقراء اليهود ويمتلىء بالسخرية والتهكم اللاذع وفضح النزعة الكلبية لليهودى الغنى وأنانيته ، يقول لينين:

---

(١) ف. ا. لينن ، مجموعة المؤلفات ، موسكو ، المجلد ٢٠ ، ص ٢٦

« ان كل من يرفع شعار الثقافة القومية اليهودية ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (ومهما كانت نواياه) ، انما هو عدو للبروليتاريا ، ومن أنصار كل ما مضى عليه الدهر ، ويرتبط بالطائفة المتحجرة من الشعب اليهودى ، انه شريك فى جرائم الحاخامات والبورجوازية . واما أولئك اليهود الماركسيين الذين يمتزجون بالعمال الروس واللتوانيين والأوكرانيين ، وغيرهم فى تنظيمات ماركسية دوليه ، ويساهمون بدورهم (سواء باللغة الروسية أو البيدية) فى ابداع الثقافة العمالية لحركة الطبقة العاملة ، ان هؤلاء اليهود ، وبالرغم من انشقاق البوند ، يدافعون عن أفضل ما لليهود من تقاليد بمحاربتهم لشعار الثقافة القومية»[1] .

ويصف لينين محاولات شعار الوحدة « الروحية » والوحدة القومية والشعارات التى تسعى الى تغافل التقسيمات الطبقية ، كشعارات مواجهة للوحدة البرليتارية، بضيق الأفق القومى .

كما يقوم الصهاينة بالترويج لما يسمى المسألة اليهودية فى الاتحاد السوفيتى ، ويتعمدون بكل وقاحة تشويه وضع اليهود فى الاتحاد السوفيتى وعلى وجه الخصوص عملية استيعابهم فى المجتمع ، التى يعتبرونها عملية لا تقل وبالا — فى زعمهم — عن برنامج النازية لابادة اليهود .

---

(١) ف. ا. لينين ، المرجع السابق .

وحقائق التاريخ تدحض بكل شدة الزيف الكامل والطبيعة الرجعية لهذه المزاعم ، فعملية استيعاب القوميات والأمم فى المجتمعات التى تحيط بها عمليه تجرى حتى فى ظل الرأسمالية ، وأما فى ظروف المجتمع الاشتراكى ، ثم المجتمع الشيوعى فيما بعد ، فتتحول هذه العمليه على نحو متزايد الى عملية لتحقيق الوحدة الأخوية والتقريب بين الأمم والقوميات ، مع اختفاء التعصب القومى والعنصرى بالتدريج .

وكان السكان اليهود فى روسيا يجبرون فى عهد القيصرية على أن يعيشوا داخل اطار رقعة من الأرض تحددها الدولة بكل صرامة ، أما اليوم فهم يعيشون فى جميع الجمهوريات السوفيتية الخمسة عشر ، وعلى امتداد الاتحاد السوفيتى كله ، بمساحته الشاسعة ، تجرى الآن ، وعلى نطاق دائم الاتساع ، عملية الاستيعاب المستمر للقوميات المختلفة .

والاستيعاب لا يعنى بأى حال من الأحوال فقدان السمات والخصائص القومية ، وكل ما يعنيه هو التقارب الطبيعى والاختيارى بين القوميات المختلفة ، وتلاحم خير ما يميزها جميعا من سمات ، وخير ماتبدعه من ثقافة، وتكوين تقاليد مشتركة وسمات مشتركة فى نمط حياتها .

وعملية تلاحم الأمم عملية طويلة للغاية ، وهى تبدأ بالتطوير الشامل للأمم والاثراء المتبادل لثقافاتها ولغاتها .

وهذه ، بشكل عام ، هي طبيعة العملية التقدمية والحتمية لتطور الأمم والقوميات فى ظروف البناء الشيوعى.

ويؤكد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وبناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى صحة السياسة اللينينية ازاء المسألة اليهودية ، ولقد وضعت الثورة حدا لكافةمظاهر التجاوزات المعادية للسامية ، كما ينص دستور الاتحاد السوفيتى على اعتبار التفرقة العنصرية من أى نوع خرقا للقانون الاشتراكى وتفرض عليها العقوبات كعمل اجرامى.

كما تغير التكوين الاجتماعى والاخلاقى والسياسى لليهود فى الاتحاد السوفيتى تغيرا جذريا ، وهم يختارون الآن طريق العمل والمساهمة النشطة فى البناء الشيوعي جنبا الى جنب مع الشعوب السوفيتية الأخرى .

ويرتبط تطور الايديولوجية الصهيونية فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى ، ثم على وجه الخصوص بعد دحر ألمانيا الهتلرية وحلفائها فى الحرب العالمية الثانية ،أوثق الارتباط بالتغيرات الاجتماعية السياسية النابعة من القوانين العامة لتطور الامبريالية فى القن العشرين والأزمة العامة للرأسمالية ، ففى هذه الفترة تحولت أكثر فئات البورجوازية اليهودية جشعا وثراء الى بورجوازية احتكارية كبيرة ، وثيقة الصلة والارتباط برأس المال الاحتكارى العالمى .

واعتمد الصهاينة فى محاولاتهم لتحقيق أهـدافهم ، وخاصة فيما يتعلق باقامة الدولة اليهودية ، على رأس المال الاحتكارى العالمى • ونظرا لاهتمام رأس المـال الاحتكارى العالمى « بتسوية » القضية الفلسطينية على طريقته الخاصة نظرا لارتباطها بالشرق الأوسـط الغنى بالبترول ، كان من الطبيعى أن يهتم اهتماما بالغا أيضا بنشـاط الصهاينة وأن يقدم لهم كافة أنواع المساندة والمعاونة •

تأسست دولة اسرائيـل وفقـا لقرار الأمم المتحـدة الصادر فى عام ١٩٤٨ فى اطار حدود جغرافية واضحة المعالم ولكن الواقع أن شيئا لم يتغير فى سياسة الصهاينة القائمـة على إعادة توطين جميع اليهود فى « أرض الآباء» ، وبالحدود التى يتصورها الصهاينة أنفسهم ، وما كان من الممكن إن يكون الأمر على خلاف ذلك • وأدت السياسة العنصرية السوفيتية للدوائر الحاكمة التى نادت باسرائيل « وطنا قوميا تاريخيا للشعب اليهـودى » الى طـرد أكثر من ٩٠٠٫٠٠٠ عـربى فلسطينى من أراضيهم •

وحكام اسرائيل لا يتوقفون عن الحديث عن « المجال الحيوى » ويحاولون حل هـذه المشكلة عمليـا ، متجاهلين قرارات الأمم المتحـدة ، ولم يسمحوا للعرب الفلسطينيين بالعـودة الى بلادهم ، وكان ذلك فى الواقع تحـد مستمر للعرب ، وذريعة استفزازية دائمة لاثارة الحرب • ويوما بعد يوم يوالى استراتيجيو الصهيونية ترويج دعاياتهم التى

تهدف الى تبرير الاستيلاء على الأراضى العربية • وتواكب هذه الدعاية عملية طويلة لغسيل مخ الرأى العام فى اسرائيل وفى الخارج • وأخيرا جاء العدوان ضد البلدان العربية فى عام ١٩٦٧ ، والذى رحبت به الصهيونية العالمية والرجعية الامبريالية بكل حماس ، التى لم تتورع فى أى وقت عن التعبير عن استعدادها لمساندة المتطرفين الاسرائيليين •

وعلى امتداد العشرين عاما الماضية ، لم يدخر حكام اسرائيل وسعا من أجل تدعيم تحالفهم الوثيق مع الامبريالية، وتحويل بلادهم الى ترسانة ضخمة ورأس جسر عسكرى ، والى قلعة قوية للغرب فى الشرق العربى حيث يفقد الاستعمار موقعا بعد آخر • وبكل سخاء ، كافأ الامبرياليون الصهاينة نظير ما قدموه لهم من خدمات ، ويكفى أن نذكر أن حجم الاستثمارات الامبريالية فى الاقتصاد الذى يغلب عليه الطابع العسكرى فى اسرائيل بلغ ما يزيد عن ٩٠٠٠ مليون دولار •

كما ينهر على اسرائيل سيل من « الهبات الاختيارية» • وتقيم حكومة اسرائيل علاقات وثيقة مع الدوائر ذات النفوذ فى الولايات المتحدة والبلدان الرأسمالية الأخرى •

والشبكة العالمية للصهيونية ، التى تقدم مساعداتها المالية المباشرة للدوائر الحاكمة فى اسرائيل ، يمكن أن تكون أى شىء سوى هيئة خيرية • ويكفى أن نعرف أن من يرفض أن يدفع يشهر به وتعلن الصهيونية أنه ارتد عن الديانة

اليهودية ، وتشــكل الهبات مصــدرا ثابتا لتمويل السياسة التوسعية لاسرائيل ، وبناء على ذلك ، يتحــول كل يهودى من سكان البلدان الرأســمالية يساهم طواعية أو قسرا فى مثل هذه الهبات الى صنيعة فى يد الدوائر الحاكمة فى تلابيب والىنصير لسياسة « اسرائيل الكبرى » •

ويقول ناعوم جولدمان ، وهــو من الزعماء البارزين للصهيونية الحديثة ، أنه ينبغى اقناع اليهود الذين يعيشون فى مختلف بلدان العــــالم بأن من حقهم المطلق أن يربطوا مصيرهم باسرائيــل ، وأنه ينبغى أن تكون لديهم الشجاعة لأن يرفضــوا فكرة ولاء اليهــود للدول التى يعيشــون فيها[1] •

ويثير هــذا النوع من التصريحــات الاستفزازية التى يدلى بهــا الزعماء الصــهاينة غضب واشمئزاز الرأى العام التقدمى ، بل وجميع اليهود الشرفاء الذين لم يفقدوا القدرة على أن يروا الأشياء كما هى • ولا يمكن وصف مثل هــذه التصريحات الا بأنهــا صيحات تخريبيــة عنصرية للساسة الصهاينة ، وأنهــا لا تتمشى مع المبادىء الأوليــة للقانون الدولى • وهى تصريحات غير شرعية من وجهة نظر القانون المحلى لأى دولة ذات سيادة أيضا •

والصهيونية العالمية تصعد من نشاطها فى الوقتالراهن تحت شعار المعاداة السافرة للشيوعية وللسوفييت • ولقد

---

(١) أنظر : القضايا ، ربيع ١٩٦٢ ، ص ٧ •

كانت الصهيونية دائمــا ، ولا تزال ، عــدوا لثورة أكتوبر العظمى ، وعدوا للسلطة السوفيتية ، ومنــذ البداية ، كان العداء للأممية ، وللسلطة السوفيتية ، وللحزب اللينينى ، هى القوة الدافعة لمشاعر وتصرفات الصهاينة •

والذين يرفعــون شعارات معاداة الشيوعية ومعــاداة السوفييت فى الصــحافة البورجــوازية ، ناهيــنا عن تلك المنظمات الصهيونية التي تمارس نشاطها فى بلدان الغرب ، تتعمد تجاهل الحقيقة الدامغــة التى تؤكد أنه على امتــداد ما يزيد عــلى نصف قرن من الحكم الســوفيتى خرجت الى الحياة عدة أجيال من اليهود الذين شبوا فى ظروف النظــام الاشتراكى وتشربوا بالمثــل العليا للشــيوعية ، ان مئات الآلاف من اليهــود السوفييت أعضــاء فى الحزب الشيوعى السوفييتى ، كما أن ٩٠٪ من اليهود الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ سنة و ٢٨ سنة ، أى حوالى ثلث العــدد الاجمالى لليهود ، أعضاء فى رابطة الشباب الشــيوعى • والواقع أن ولاء اليهود السوفييت لوطنهم الاشــتراكى فوق أى مظنة أو شك •

وتحاول الدعاية الصهيونيــة أما أن تتجاهل الحقــائق الصادقة والايجابية المتعلقة بحياة اليهود السوفييت ، أو أن تثير من حولها الشكوك •

ومن الواضح تماما أن الصهيونية تمارس نشاطها اليوم بصفتها أكثر القوى التى تعمل فى خدمة الامبريالية نشاطا فى معاداة الشيوعية ومعاداة السوفييت •

وفى نفس الوقت ، يوضح التحليل النظرى للأسس الفلسفية والايديولوجية والاجتماعية السياسية الرجعية للصهيونية أن هذه الحركة تعانى أزمة عميقة •

وتتجلى الأزمة الايديولوجية للصهيونية قبل أى شىء فى معاداة بنيتها الاجتماعية السياسية للعلم ، وافلاسها نظريا •

وترجع الأزمة السياسية للصهيونية أساسا الى أن زعماءها ، ونظرا لارتباطهم الوثيق بالسياسة الخارجية للدوائر الحاكمة فى اسرائيل ، يتحملون مسئولية السياسة العدوانية لتلك الدولة ، تلك السياسة التى تثير أشد المعارضة والاحتجاج من جانب كافة القوى التقدمية فى العالم •

وأما الأزمة الأخلاقية للصهيونية فتتمثل فى الانحطاط الكامل للمعايير الأخلاقية والقيم المزيفة التى تنادى بها الايديولوجية الصهيونية • وفى كل يوم يزداد اقتناع العالم بالطبيعة العنصرية والمعادية للانسانية لكافة المفاهيم التى تقوم عليها هذه الايديولوجية •

ولكن اذا كانت الصهيونية تعانى أزمتها الداخلية ، فهذا لا يعني أن هذه الحركة فقدت أنصارها ، أو أن شمسها أخذت فى الغروب . ان الصهيونية لازالت قادرة على الحاق أضرار معينة بحركة التحرير التقدمية فى جميع أنحاء العالم. ومن ثم فلا سبيل أمام الرى العالم العالمى التقدمى الا أن يخوض النضال الايجابى والفعال ضد الصهيونية وأن يعمل على فضح مذاهبها .

راى لينين فى الصهيونية

بقلم : ى٠ بودكوبابيف

ظهرت الصهيونية وتشكلت فى نهاية القرن التاسع عشر فى حقبة كانت فيها عملية تحول الرأسمالية الى امبرياليـة توشك على الانتهاء ٠

وللوهلة الأولى فان الصهيونية تبدو ذات أهداف سلمية انسانية ٠٠٠ جمع اليهود عند جبل صـهيون ، « فى أرض الميعاد » ، التى لن تعرف ، كما تقول شريعة الديانة اليهودية القديمة ، الظلم الاجتماعى أو السياسى ان الفكرة الصهيونية التى أخفيت بمهارة قد تبدو جذابة فى ظاهرها ٠ لكن نظرة أعمق تكشف عن جوهـرها الحقيقى كأداة لتبرير المطـالب الاستعمارية والاقليمية للبورجوازية اليهودية ، وللتبشـير بالسلام الطبقى الخيالى بين اليهود العاملين ، وتوحيدهم على أساس القوميـة والشوفينية فى البـلدان المختلفة ، وعلى الصعيد الدولى ٠ ومنذ ظهـورها فان الصهيونية الدوليـة

اتخذت موقفا عدائيا متشددا تجاه حرية واستقلال الشعوب وظهرت أمام العالم كحليف للامبريالية •

وقد بدأت عملية امتصاص اليهود فى الشعوب الأخرى، بشكل فعال فى عصر الرأسمالية « كتب لينين يقول : فى جميع أنحاء أوروبا كان سقوط العصور الوســطى ، ونمو الحريه السياسية يسير جنبا الى جنب مع التحرر السياسى لليهود وتحويلهم عن العبرية الى لغة الشعوب التى يعيشون معها، وبصفة عامة مع تقدم لاشك فيــه فى استيعابهم فى الشعوب المحيطة بهم •

واليهود بعد استيعابهم فى الشعوب الأخرى لا يعتبرون أنفسهم بعــد ذلك نفايات تعيش فى عالم منعزل • ويزداد ارتباطهم بالبلدان التى ولدوا بينها ، وبالبلدان التى تربطهم بها مصالح سياسية واقتصادية وروحية •

والصـــهاينة لكى يحتفظوا ولو جزئيــا بسيطرتهم على الجماهير العريضة من اليهود العاملين •• وهى سيطرة أكدت نفسها قديما أيام العصور الوســطى ، بذلوا جهدا شـــاملا ضد استيعاب اليهود ومن أجل انعزالهم القـــومى • وقدموا الفكرة وأكد أن الصهيونية فى حاجة الى مفهوم الأمة اليهودية فى الشعوب الأخرى » ونزع ف• ا• لينين القناع عن هــذه الفكرة وأكد أن الصهيونية فى حاجة الى مفهوم الأمة اليهودية العالمية لكى تقضى على الوعى الطبقى بين الكادحين اليهود ،

ولاقناعهم بأن حقائب المال اليهودية أقرب اليهم روحيا وهدفا من العامل فى أى قومية لكى تضع اليهود فى موضع مناقض لجميع الشعوب المصابة فى زعمها بمعـاداة السامية ، وبذر بذور عدم الثقة ، والكراهيـة لغير اليهـود ان أمكن . وفى جدله مع الزعامة القومية لـ « البـوند » (الاتحاد العـام للعمال اليهود) الذى كان يتبنى بعض أفكار الصهيونية كتب لينين يقول أن جوهر القضية اليهـودية : « الاستيعاب أم العـزلة ؟ وفـكرة « القوميـة اليهـودية » ذات صـبغة رجعية واضحة ، لا كما يبشر بها مؤيدوها المتعصبون الصهاينة فقط ، بل كما يبشر بها أيضا هؤلاء الذين يحاولون مزجهـا بأفكار الديموقراطية الاجتماعية (البندبست)

هذا هو رأى لينين فى الصهيونية منذ سنوات عديدة ، لكن هل يمكن أن تكون قد ظهرت ، بعد أن وجه لينين نقـدا مدمرا الى هذا الاتجاه البورجوازى القـومى ، حقائق أو بيانات جديدة تستدعى « مراجعة » رأى لينين ؟ كلا لا وجود لمثل هذه الحقائق . على العكس هناك الكثير الذى يثبت أن رأى لينين فى الصهيونية لم يفقد دلالته حتى يومنا .

أكثر من ذلك فان الصهيونية الحديثة ، التى تحظى بتأييد شامل من جانب القوى الامبريالية اكتسبت سمات رجعية جديدة . والصهيونية يومنا عـدو غادر للاممية ، وللصـداقة والاخاء بين جميع الشعوب . ومهام الصهيونية الدولية ، التى تتعاون نواحى عديدة لنشاطها مع المخـابرات والمنظمات الهدامة

التابعــة للدول الامبرياليــة ، هــذه المهام واضــحة ... استغلال القومية البورجوازية اليهودية فى صالح الامبريالية والاستعمار الجــديد . وقد أصبحت دولة اسرائيـــل مركزا للصهيونية الدولية . -

ان هذه الدولة بعد أن قامت نتيجة لعمــل انسانى من جانب ممثلى شعوب عديدة فى العالم ، تحولت عــلى الفور بفضل السياسة الغــادرة التى تتبعهــا الدوائر الصهيونية الحاكمة الى أداة عسكرية سياســية لأكثر قوى الامبرياليــة الدولية عدوانية فى الشرق الأوسط . ومنذ ١٩٤٨ — ١٩٤٩ اتبعت اسرائيل طريق التوسع واحتــلال أراضى من الدول العربية المجاورة . وفى عام ١٩٥٦ اشتركت فى العــدوان الذى شنته الدول الامبريالية على مصر . ولم ترجع هزيمة المعتدين الصهاينة فى تل ابيب الى عقولهم ، بل استمروا فى دعم تحالفهم العسكرى الاقتصادى مع أكثر قوى الامبريالية الحديثة عدوانية . وكان آخر عمل عبر هــذا الطريق عدوان اسرائيل الغادر على الدول العربية فى يونيو ١٩٦٧ .

والصهيونية الدولية فى الوقت الذى تقوم فيه بهجمات مسلحة على العالم العربى بدأت تشدد نشاطها الهدام ضد الدول الاشتراكية والحركة الدولية المعادية للامبريالية .

ويشن الصهاينة حملتهم ضد المعسكر الاشتراكى ... وضد الاتحاد السوفيتى بصفة خاصة .. تحت شعار كاذب

هو « حماية اليهود من الظلم (المزعوم) الذى يتعرضون له، فى الدولة السوفيتية منذ يوم تأسيسها • وتحاول تل — أبيب ومراكز أخرى للصهيونية الدوليـــة أن تصـــور عدم قبول الشـــعوب السوفيتية للصـــهيونية ، على أنه مظهر لمعـــاداة السامية •

اسرائيل ترسانة عسكرية لامريكا

دون الاسطول السادس فى حمايتها ..

بقلم : بولشاكوف

كان الصهاينة يقولون بغية الحصول على تأييد الرأى العام العالمى لفكرة تكوين « دولة يهودية » : « أننا لسنا بحاجة الا الى شريط من الأرض يصبح ملكا لنا » .

وكان الصهاينة يخفون أغراضهم حتى وافقت هيئة الأمم المتحدة (عام ١٩٤٧) على مشروع تقسيم فلسطين . اذن فقد كانوا يحتاجون الى شريط الأرض ذلك كرأس جسر لاغتصاب أراض جديدة .

لقد أكدت ذلك العمليات الارهابية التى قامت بها العصابات الصهيونية التى كانت تذبح سكان بعض القرى العربية فى فلسطين بغية طرد العرب ، الأمر الذى أدى الى نشوب الحرب العربية الاسرائيلية فى عام ١٩٤٨ وقد أكد ذلك أيضا العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ الذى اشتركت فيه

اسرائيل بنشاط ، وكذلك العدوان القرصني الذى شنه حكم تل أبيب على البلدان العربيـــة فى عام ١٩٦٧ والذى لم تتم تصفية آثاره حتى الآن •

وقاحـــة واستيطان

لا يخفى حكام اسرائيل أنهم لا يريدون ارجاع الأراضى العربية المغتصبة الى العرب ، ويصرون على رفض تنفيذ قرار مجلس الامن المــؤرخ فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ • ويقومون باستيطان الأراضى العربية حيث بنيت أكثر من ٤٠ مستعمرة يهودية عسكرية وتســتخرج الشركات الاسرائيليـــة بسرعة البترول من أراضى ســيناء مع أنه ملك لمصر • « ففى عــام ١٩٧١ ، استخرجت شركة « ينتيفاى نيفت » الاسرائيليـــة من سيناء ٦ ملايين طن من البترول ، وجنت ربحا يقدر بمـــا يزيد عن ١٠٠ مليون جنيه اسرائيلى » •

فى آن واحد مع نهب الأراضى العربية المحتلة ، لاتكف الأوساط العسكرية الاسرائيلية عن تدبير استفزازات مسلحة ضد سوريا ولبنان ، متجاهلة احتجاجات الرأى العام العالمى ونداءات وقرارات مجلس الأمن • وتحاول الأوساط الحاكمة الاسرائيلية ، كما قالت مجلة « جين افريك » ، أن يتخــذ اغتصاب الأراضى العربية صيغة « عمل مشروع » ، واقناع الآخرين بأنهم ينهبون بحق « وذلك بوســيلة الصــهاينة

الكلاسيكية التى تقتضى تحقيق كل هدف عن طريق تكديس الوقائع » •

ومن مظاهر مثل هذه السياسة « ازاحة » العــرب من القسم الشرقي بالقــدس حيث تنــوى الأوســاط الحاكمة الاسرائيلية اسكان مائة ألف مهــاجر يهودى مكان ٧٠ ألف عربى • وتواصل سلطات الاحتــلال الاسرائييلة مصــادرة الأراضى العربية التى تقع فى الضفة الغربية ، وتمسح القرى العربيــة فى قطاع غــزة ومرتفعات الجولان وغــيرها من الأراضى المحتلة •

أمن مزعوم

وترافق كل هــذه الاجراءات أحاديث مستمرة حــول « ضرورة ضمان أمن الحدود الاسرائيلية » بينما لا يخفى على أحد أن مشاريع تل ابيب الاغتصابية التى تقتضى انشاء « اسرائيل الكبرى » من النيــل الى الفرات حسب العقيدة الصهيونية تعنى ، ابتلاع الأراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، وكذلك اغتصاب أراضى جديدة على حساب سوريا ولبنــان والأردن ومصر •

ولا تضم المخطوطات الصهيونية تلك المشاريع فحسب، بل تؤخذ بعين الاعتبار مطالب الصهيونية الدولية قبــل كل شيء لا « تنبؤات التوراة » •

تسلح مخيف

ومما يؤكد وجود المخططات التوسعية لدى الأوساط العسكرية الاسرائيلية ، نفقات اسرائيل الحربية وطابعها • فقد صرح بنهاس سابير وزير المالية الاسرائيلي بأن اسرائيل قد أنفقت لأغراض « الدفاع » في الأعوام الستة الأخيرة ٦ مليارات من الدولارات وسيزداد هذا المبلغ في الأعوام الستة المقبلة الى ١٠ مليارات • ثم أضاف سابير يقول ان اسرائيل تنوي زيادة نفقاتها الحربية بمقدار ما يزيد عن ٦٠٪ حتى في حالة توقيع معاهدة صلح في الشرق الأوسط • وفي سنة ٧٢ ـ ١٩٧٣ المالية خصص الحكام الاسرائيليون حوالي ٤٠٪ من الميزانية للاستعدادات الحربية وتخصص مع ذلك مبالغ كبيرة بوجه خاص عما خصصت لها في عام ١٩٦٧ •

ومما يلفت النظر في هذا الصدد ذلك التأييد الذي تناله تل أبيب لاستعداداتها العسكرية من قبل الأوساط الحاكمة الأمريكية والصهيونية الدولية •

فاذا بلغت قيمة المعونة الرسمية الأمريكية لاسرائيل من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٨ مليارا ومائة مليون دولار فقد خصصت الولايات المتحدة في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ وحدهما قروضا حربية تبلغ مليارا من الدولارات •

صناعة حربية عصرية

وفى نفس الوقت ازدادت ازديادا كبيرا تبرعات المنظمات الصهيونية لاسرائيل • فقد أعلن رئيس منظمة « الدعوة اليهودية الموحدة » فى الأيام الأخيرة أن ٢٧٠ مليون دولار قد جمعت فى العام الحالى لمساعدة اسرائيل •

ويجدر بالذكر أنه يتم تدريجيا التكامل بين المجموعة العسكرية الصناعية الأمريكية والصناعة العسكرية الاسرائيلية ولا يقتصر الأمر على ارسال الطائرات وغيرها من الأسلحة الى اسرائيل من الولايات المتحدة « ففى فترة قصيرة نسبيا أنشئت فى اسرائيل بفضل الحقن الوفيرة بالدولارات صناعة حربية عصرية لانتاج الطائرات والصواريخ والدبابات وأسلحة الرماية وقد ساهم فى تحويل اقتصاد اسرائيل الى الطريق العسكرى ممثلو البورجوازية الصهيونية الكبيرة المرتبطة بالصهيونية الدولية والتى تحتل مكانتها فى المجموعة العسكرية الصناعية الأمريكية •

وبواسطتهم بيعت لإسرائيل فى عام ١٩٦٧ مصانع الطائرات لشركة « روكويل ستاندرات » التى اندمجت فيما بعد مع شركة « نورس أمريكان افييشن » وبلغت قيمتها ٢٥ مليون دولار • وقد « اشترت » تلك المصانع شركة « اسرائيل ايركرافت اندستريس » ، التى تشرف عليها وزارة الدفاع الاسرائيلية ، بعد مضى أقل من ٥ أعوام على ذلك

نظمت الشركة انتاج صواريخ من طراز « جبرائيل » وبدأت فى تصديرها . وقد جنت الشركة من بيع هذه الصواريخ فى عام ١٩٧١ — ١٩٧٢ المالى أرباحا تقدر بأربعين مليون دولار أى ما يزيد أكثر من مرة ونصف مرة على قيمة مصانع « روكويل » . ولفتت تلك الصواريخ أنظار « الخبراء » من البنتاجون كما اذاعت وكالات الأنباء الغربية ، انه من المتوقع أن تبدأ اسرائيل فى المستقبل القريب فى تصديرها الى الولايات المتحدة .

ويلاحظ التقارب والاندماج بين المجموعتين العسكريتين الصناعيتين الأمريكية والاسرائيلية فى عدد من المجالات الأخرى . أيضا . فقد كتبت جريدة الأنوار اللبنانية تقول أن علماء ٤٨ مركزا علميا كانوا يعملون فى عام ١٩٧١ لوضع ٢٢٦ تصميما وفقا لطلبات المؤسسات الحكومية الأمريكيةوقد ألفت طلبات البنتاجون جزءا كبيرا منها واشارت جريدة الأنوار الى أن العلماء الاسرائيليين يحققون طلبات البنتاجون فى ثلاثة اتجاهات رئيسية وهى « الأبحاث التى يتمكن من استغلال طبيعة ومناخ اسرائيل والمناطق المجاورة لها للأغراض العسكرية ، والأبحاث التى ترمى الى زيادة فعالية السلاح وقدرة الجنود القتالية ، والأبحاث الموجهة الى دراسة امكانيات استغلال الوسائل الاشعاعية ومختلف الجراثيم التى تسبب شتى الأمراض والمواد الكيميائية » ويخصص البنتاجون ملايين الدولارات لاجراء مثل هذه الأعمال .

ويستخدم البنتاجون صناعة اسرائيل العسكرية وملاكات الباحثين والعلماء فيها على نطـاق واسع لتجربه انواع جديدة من الاسلحة والعتاد العسكرى التى تقـدم بموجب برنامج « المساعدات العسكرية » الى اسرائيل نفسـها ، وتستعل لمجاربة الحركات الوطنية التحررية فى المنـاطق الأخرى من العالم بمـا فى ذلك الهنـد الصينية • ويستخدم البنتاجون على نطاق واسع شبه جزيرة سيناء المحتـلة كساحة لتجربه تلك الأسلحة •

ونرى نفس الاندماج و « التـكامل » بين مخـابرات الولايات المتحدة واسرائيل فقد قال دافيد نيس القائم باعمال الولايات المتحدة فى القاهرة سابقا أن « التعاون الأمريكى مع اسرائيل فى مجال تبادل المعلومات السرية يجـرى على نطاق لا نظير له » • ثم أشار نيس الى التقارير التجسسية التى كانت تطلبها واشنطن من السفارات الأمريكية ومصلحة المخابرات الأمريكيـة المركزية وموظفى المخابرات العسكرية فى الشرق الأوسط ، كانت تدبج قبل بداية العمليات الحربية فى يونيو عام ١٩٦٧ بعدة أشهر لتلبية احتياجات اسرائيـل الى جانب مصالح الولايات المتحدة • ثم كتب نيس يقول : ان اصابة الأهداف خلال الغارات ، الجوية فى ٥ يونيو عام ١٩٦٧ كانت مضمونة جزئيا على كل حال بفضـل المعلومات الخاصـة بتوزيع المطـارات والطـائرات المصرية التى تم الحصول عليها من مصادر أمريكية أما المعـلومات السياسية

والاقتصادية فتنقل وزارة الخارجية الأمريكية منذ وقت بعيد الى السفارة الاسرائيلية فى واشنطن نسخا لجميع الاخبار التى تتلقاها من سفاراتها فى الشرق الأوسط » .

إن مجرد هذا الكلام يعنى أن البلدان العربية التى تعرضت لاعتداء تل أبيب تضطر وهى ترد العدوان ، الى محاربة لا قوات اسرائيل المسلحة فحسب بل كذلك « مؤخرتها » البعيدة التى تحدث نيس عنها بصراحة ووضوح .

وتؤكد ارساليات طائرات « فانتوم » الأخيرة وغيرها من الأسلحة التى تزود بها اسرائيل بموجب مشروع « مساعدة الدول الأجنبية » من قبل واشنطن ، ان « تعاونها المنقطع النظير » مع تل أبيب لايزال ينمو ويتسع .

ورقة رابحة

وتقدم واشنطن معونة اسرائيل بواسطة حلف الأطلنطى فقد كتبت جريدة « تشيكاغو تريبيون » منذ وقت وجيز تقول ان « أربع فرق ونصف من الجيش الأمريكي ترابط فى أوروبا انما هى ورقة رابحة فى التوازن المعقد بين الحرب والسلام فى الشرق الأوسط « وافادت الجريدة تقول ان هذه الورقة الرابحة » يمكن أن تستخدم كالأسطول الأمريكى السادس فى البحر الأبيض المتوسط ، ضد البلدان العربية .

واذا أخذنا بعين الاعتبار أن الحزبين ، الديموقراطى ، والجمهورى ، قد أعلنا فى بياناتهما الانتخابية تأييدهما لسياسة اسرائيل فى الشرق الأوسط ومواصلة تقديم المعونة لتل أبيب حينئذ يبدو واضحا أن آمال بعض القادة العرب فى ايجاد « تفاهم » مع الولايات المتحدة ليست الا أوهاما .

وما يزيد من خطر المغامرات الاسرائيلية فى المرحلة الراهنة نقص التضامن بين الدول العربية فى وجه العدو المشترك وعدم تقدير بعض القادة فى العواصم العربية لخطورة الوضع كما يجب ، وكذلك رجعية بعض الأنظمة الملكية العربية .

ان الزعماء السياسيين العرب البعيدى النظر يدعون لتلاحم البلدان العربية على أساس معاداة الامبريالية . وتلقى شعوب سوريا والاردن ومصر تأييد الاتحاد السوفيتي وغيره من البلدان الاشتراكية فى نضالها من أجل تصفية آثار العدوان الإسرائيلى وتحرير الأراضى المحتلة ، وتشهد على ذلك بجلاء نتائج لقاء قادة الأحزاب الشيوعية والعمالية للبلدان الاشتراكية الذى عقد فى القرم فى يوليو الماضى ، اذ دعا المشتركون فى ذلك اللقاء الى جلاء القوات الاسرائيلية عن كل الأراضى المحتلة ، وتنفيذ قرار مجلس الأمن المؤرخ ٢٢ نوفمبر عام١٩٦٧ بلا قيد أو شرط .

وتستطيع الشعوب العربية تعزيزا للوحدة فى النضال ضد المعتدين والصهيونية الدولية والامبريالية واستنادا الى المساعدة الأخوية من قبل الاتحاد السوفيتى وغيره من البلدان الاشتراكية ، تستطيع اقامة سلام عادل فى الشرق الأوسط وتحقيق نجاح جديد فى طريق التقدم •

وأجهزة الاعلام

فى الوقت الذى كانت فيه أجهزة الاعلام الغربية تشن حملة واسعة ضد الاتحاد السوفيتي متهمة اياه باضطهاد اليهود ومنعهم من الهجرة الى اسرائيل •

كثر الحديث فى الصحف العربية فى السبعينات حول هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل مصورة أن هذه الهجرة فيها تدعيم لدولة اسرائيل ولمزاعهما الصهيونية • وقيل وقتها أن أمريكا تزود اسرائيل بالسلاح بينما يزودها الاتحاد السوفيتى بالرجال •

وقد صدر فى السبعينات رد من وزارة الداخلية السوفيتية على مقولات أجهزة الاعلام العربية • وهو رد مزود بالأرقام والاحصاءات نورده فيما يلى :

حديث صحفى للمتحدث الرسمى لوزارة الداخلية فى الاتحاد السوفييتى مـع مندوب وكالة نوفوستى

اليكم ما أعلنه ب• ت• شوليلين نائب وزير الداخلية فى الاتحاد السـوفيتى فى حديثـه الصحفى الى مندوب وكالة نوفوستى للأنباء حـول مزاعم الدعاية المعـادية للسوفييت فيمـا يختص بهجـرة أفراد من الاتحـاد السوفييتى الى اسرائيل •

منذ وقت بعيد وأجهزة الدعاية الامبريالية والصهيونية فى البـلدان العربية ، تروج عـلى نطاق واسـع ، افتراءات استفزازية جديدة حـول هجرة أفراد من أصـل يهودى من الاتحاد السوفيتى الى اسرائيـل • ومن الواضح أن أجهزة الاعلام الماوية قد لجأت هى الأخـرى الى كل أنواع المزاعم والافتراءات فى هذا الخصوص •

ويذكر منظمو تلك الحملة الدنيئة اعدادا سخيفة خيالية تصل الى مئات الآلاف ، لأناس يزعم أنهم يرغبون فى ترك الاتحـاد السـوفيتى الى اسرائيـل • وتروج الاشـاعات الاستفزازية حول أن الهجرة قد اتخذت طابعا جماهيريا وانها تدعم قدرات اسرائيل الدفاعية ، رغم أنه لم يحدث وليس هناك ولا يمكن أن يكون هناك شىء من هذا القبيل • ويسمح بعض السياسيين فى البلدان العربية لأنفسهم بأن يتستفيدوا

من مثل هذه المصادر الزائفة للمعلومات حول « وضع اليهود فى الاتحاد السوفيتى ».

ولاضفاء مسحة من الصحة على هذه الاختلاقات الماكرة يستفاد من حقيقة أن عددا محدودا من الأفراد من أصل يهودى يتقدمون الى السلطات السوفيتية طالبين السماح لهم بالهجرة الى اسرائيل . وقد يترك هؤلاء الأشخاص الاتحاد السوفيتى على نفس الأسس الذى يتركها عليه مواطنون سوفيت آخرون دون تمييز فى القومية أو الأصل العرقى أو الجنسى أو العمر . وتدرس الأجهزة وزارة الداخلية فى الاتحاد السوفيتى طلبات الهجرة وفقا للقانون، وبعد هذه الدراسة تمنح الموافقة كقاعدة عامة . وتعتبر الآراء الدينية والرغبة فى الالتقاء بالأقارب وآثار الماضى والسعى وراء المصالح الخاصة من الأسباب الرئيسية لطلبات السماح بالهجرة الى اسرائيل . كما تلعب الدعاية الصهيونية دورا محددا كذلك ، تلك الدعاية التى تؤثر على بعض العناصر غير الثابتة . ومن أجل هذه الأسباب ترك الاتحاد السوفيتى الى اسرائيل خلال عام ١٩٧١ حوالى ١٠ آلاف شخص ، حوالى ثلثيهم من المسنين والنساء . ويوضح ذلك الحقيقة المعروفة التى تقول بأن اليهود السوفيت ليسوا الى درجة كبيرة الذين يشكلون الكتلة الأساسية من المهاجرين الى اسرائيل . فخلال كل الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، على سبيل المثال ، ترك الاتحاد السوفيتى الى

اسرائيل حوالى ٢١ ألف شخص بينما يزيد العدد الكلى للأشخاص الذين انتقلوا الى هذا البد عن ٢ مليون • وقد هاجر من البلدان العربيه وحدها ٨٠٠ ألف شخص الى اسرائيل •

وأثناء دراسة طلبات الهجرة من الاتحاد السوفيتى الى اسرائيل يوضع فى الاعتبار بالطبع الوضع الذى تشكل فى الشرق الأوسط نتيجة لعدوان اسرائيل على البلدان العربيه ورفضها سحب قواتها من الأراضى العربية المحتلة وتسوية نزاع الشرق الأوسط بوسائل سياسية سليمة • ولهذا السبب على وجه التحديد تفرض السلطات السوفيتية المسئولة،قيودا على هجرة بعض أنواع المواطنين السوفيت الى هذا البلد • وتنطبق هذه القيود أولا على هؤلاء الذين تلقوا تدريبا عسكريا أو الذين يرتبطون بأعمال تتعلق بمصالح الدولة • ويجب أن نشير مرة أخرى الى أن معظم الذين يتركون الاتحاد السوفيتى هم من المسنين أو النساء أو الأطفال •

ان منظمى الاستفزاز الجديد ، من أجهزة الدعاية الامبريالية الصهيونية يلتزمون الصمت حيال الجانب الآخر من المشكلة ، وهو تزايد عدد الأشخاص الذين يرغبون فى ترك اسرائيل • ان كثيرا من المواطنين السوفيت السابقين ذوى الأصل اليهودى يندمون أشد الندم على ما فعلوه بعد أن ذاقوا الطعم الحقيقى « للجنة » الاسرائيلية ، ويطلبون السماح لهم بالعودة الى الاتحاد السوفيتى • كما يتزايد

بذلك عدد المواطنين السوفييت من بين اليهود الذين يرفضون الذهاب الى اسرائيل بعد أن طلبوا ترك الاتحاد السوفيتى وحصلوا على تصريح بذلك •

ويمكننى القول ان عدد طلبات الهجرة التى وصلت حتى اليوم الى أجهزة وزارة الداخلية السوفيتية من بعض المراكز مثل موسكو ولينينجراد وكييف وأوديسا ، ومن بعض المناطق مثل جمهورية مولدافيا وغيرها ضئيل للغاية ، فهى لا تتعدى ٢٨٥ شخصا من موسكو و ٥٠ شخصا من لينينجراد و ١١٩ شخصـــا من كييف و ١٢٤ شخصـــا من مولدافيا •• الخ • وليس ذلك من قبيل الصدفة • فمهما كانت الرغبة العارمة لدى بعض الناس فى الغرب وفى اسرائيل لتوسيع عمليات الهجرة، فالمواطنون السوفيت من أصل يهودى يرفضون أن يتحولوا الى « وقود للمدافع » فى يد المعتـدين الصهيونيين ، وأن يشتركوا فى مغامراتهم الاجرامية •

وهكذا ، فجميـــع الافتراءات التى تروجها الصهيونية الدولية وبعض الدوريات والصحف تتنافى من أساسها مـــع حقائق الأمور • وما الهدف من شن هذه الحملة المغرضة من الافتراءات والتشويه الا محاولة النيل من الصـــداقة التى تربط بين البلدان العربيـــة والاتحاد السوفيتى الذى يقـــدم كافة أنواع الدعم والمعونة لشعوب الشرق العربية فى نضالها التحريرى العادل والذى يقف عقبة فى وجـــه تحقيق الخطط

العدوانة التوسعية للامبريالية والصهيونية واسرائيل فى تلك المنطقة من العالم ٠

ومن الواضح أن خطط اعداء الصداقة العربية السوفيتية والتى تهدف الى النيل من الروابط الوثيقة التى تجمع بين الشعوب السوفيتية وشعوب الشرق العربى تقوم على أسس هشة متهاوية ، ولن تجدى المزاعم الصهيونية الجديدة فتيلا فى تحقيق أهدافها المفضوحة ٠

فهرســت

صــفحة

※ الصهيونية « عن دائرة المعارف السوفييتية » ٥

※ دولة اسرائيل والصهيونية
جالينا نيكيتينا ١٥

※ العنصرية والصهيونية ــ الايديولوجية الامبريالية
ب. فيدوسـييف ٢٧

※ الصهيونية : نوع من أنواع
الشوفينية والعنصرية
مارك ميثين ٤٩

※ رأى لينين فى الصــهيونية
ى. بودكوباييف ٦٣

※ اسرائيل ترسانة عسكرية لأمريــكا
دور الأسطول السادس فى حمايتها
بولشاكوف ٦٩

※ حديث صــحفى للمتحدث الرســمى لوزارة
الداخليــة السوفيتية حــول هجرة اليهود
الى اسرائيل

هــذا الــكتاب

* يضم مقالات اخترناها من كتابات عدد من المستشرقين والعلماء السوفييت حول قضية الصهيونية واسرائيل كايديولوجية وممارسة ودورها ليس على نطاق منطقة الشرق الاوسط وحدها وانما على نطاق الصراع العالمى بين قوى الامبريالية وقوى التحرر والتقدم .

وتقدم هذه المقالات مفهوما ايديولوجيا متكاملا وموقفا سياسيا محددا من قضية الصهيونية كايديولوجية ومنظمة عالمية ودولة ، وترد على التساؤلات حول موقف السوفييت من هذه المسائل . وقد ختمنا هذه المقالات بحديث صحفى لمتحدث رسمى سوفييتى حول هجرة اليهود السوفييت وهى القضية التى شغلت ومازالت تشغل مساحات كبيرة من الاعلام الغربى والعربى .

ونامل أن تساعد هذه المقالات قراءنا على الاطلاع على العديد من الكتب والمؤلفات السوفييتية حول هذا الموضوع الهام .

دار الثقافة الجديدة

